طُرَف الطَّرْف في مسألة الصوت والحرف

تأليف

أحمد بن يحيى بن عَطْوَة الدِّرْعي (ت ٩٤٨هـ)

تحقيق

فضيلة الدكتور. الوليد بن عبد الرحمن بن محمد آل فريَّان

مقدمة

الحمدُ لله رب العالمين، والصلاةُ والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فيُعدُّ الشيخُ أحمد بن عَطْوة رحمه الله تعالى غُرَّة علماء نجد في القرن العاشر، ومع جلالة قدر هذا العالم وعلوِّ كعبه، وجهده الكبير في نشر الفقه الحنبلي وترسيخ مبادئ السلفية، إلّا أنَّ النسيان طوى أثره ولم يبق من مؤلفاته العقدية - حسب علمي - إلا هذه الرسالة "**طُرَف الطَّرف في مسألة الصوت والحرف**".

وهي على وجازتها واقتصارها على موضوع واحد فإنَّها كشفت

عما كان يتمتع به المؤلفُ من عقيدة صافية واطلاع واسع، وعناية بالغة بعقيدة أهل السنة والجماعة، وعن العلاقة الوثيقة بين علماء الحنابلة في نجد والشام في ذلك الوقت.

كما أنَّ فيها ما يؤكد خطأ ما شاع عند عامة المؤرخين للدعوة كابن غنَّام وابن بشْر وغيرهما من أنَّ نجداً كانت تعيش حالة من الجهل المُطبق قبل دعوة الشيخ محمد، وهي مقولةٌ اتخذها أعداءُ الدعوة والدولة للنيل منها والحط من شأنها، وأنَّها إنما راجت بسبب ذلك.

ولذلك رأيتُ القيامَ بتحقيقها ونشرها، دفاعاً عن الحق، ووفاء لهذا العالم الجليل. وقد مهَّدت لها بمطلبين، هما:

المطلب الأول: سيرة المؤلف أحمد بن عطْوَة.

وفيه خمس مسائل:

المسألة الأولى: اسمُه وأسرتُه ومولده.

المسألة الثانية: شيوخُه وتلاميذه.

المسألة الثالثة: فقهه وفتاواه.

المسألة الرابعة: صفاته ومكانته وثناء العلماء عليه.

المسألة الخامسة: وفاته ومكتبته ومؤلفاته.

المطلب الثاني: مسألة طُرَف الطَّرف في مسألة الصوت والحرف.

وفيه أربع مسائل:

المسألة الأولى: عنوانُ الرسالة وتوثيقُ نسبتها.

المسألة الثانية: سببُ تأليف الرسالة وموضوعُها وأهميتها.

المسألة الثالثة: منهجُ المؤلف ومصادره.

المسألة الرابعة: وصفُ النسخ الخطية المُعتمدة.

وقد التزمتُ في تحقيقها المنهجَ المُعتبر، فاعتمدتُ على المصادر الأصيلة، وقارنتُ بين النسخ وأثبت ما بينها من الفروق. كما قمتُ بعزو الآيات الكريمة وتخريج الأحاديث والآثار والترجمة لغير المشاهير، وتفسير الألفاظ الغامضة، والتعليق على ما رأيتُ أنَّه يحتاج إلى تعليق.

أسأل الله تعالى أنْ ينفع بها، وأنْ يرزقنا جميعاً العلم النافع والعمل الصالح. وصلَّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

المطلب الأول:

سيرة المؤلف أحمد بن عطْوَة.

وفيه خمس مسائل:

المسألة الأولى: اسمُه وأسرتُه ومولده.

المسألة الثانية: شيوخُه وتلاميذه.

المسألة الثالثة: فقهه وفتاواه.

المسألة الرابعة: صفاته ومكانته وثناء العلماء عليه.

المسألة الخامسة: وفاته ومكتبته ومؤلفاته.

المسألة الأولى: اسمُه وأسرتُه ومولده.

هو العلَّامة الفقيه أبو العباس شهاب الدين، أحمد بن يحيى بن عَطْوَة بن زيد التميمي الدِّرْعي[(١)]. من آل رَحمة: من النواصر، من تميم[(٢)].

نشأ في أُسرة محافظة وبين أبوين صالحين، ربّياه على الأخلاق

(١) ينظر: ابن عبد الهادي، الجوهر المنضّد ١٥، وابن منقور، المجموع ١/١٥٠ ، ٢/٥٤ ، ٧٦ ، ١٩٤ ، ٢٢٧، وابن بشر، عنوان المجد ٢/٣٠٣، وابن حميد، السحب الوابلة ١/٢٧٤، وابن عيسى، التاريخ ٤١، والمجموع ٧٠/ب.

(٢) ينظر: ابن ربيعة، التاريخ ٥١، والفاخري، التاريخ ٨٣، وابن بشر، عنوان المجد ٢/٣٠٣، ٣٥٧ ، ٣٦٥ ، ٣٦٩.

الفاضلة والخلال الكريمة وغرسا فيه حُبَّ العلم والاجتهاد في طلبه. فانطلق مُنذ وقت مبكر في سبيله والسعي إليه، ولم تكن أحوالُ بلاده المضطربة حائلاً بينه وبين مواصلة العلم والجد في تحصيله(١).

وكانت هذه الأسرة سَكنت الفَرْعة(٢) من بُلدان الوَشْم ثم تحوَّلت إلى الدِّرْعية(٣)، وفيها ولد المؤلف(٤)، بعد منتصف القرن التاسع بقليل(٥).

المسألة الثانية: شيوخُه وتلاميذه.

---

(١) ينظر: ما كانت تعانيه بلاده من تناحر، وتنافس على السُّلطة. ابن منقور، المجموع ٧٦/٢، ١٨٩، ١٩٤، وابن عيسى، التاريخ ٤٢.

(٢) الفَرْعة قرية مجاورة لبلدة أشيقر من جهة الجنوب. ينظر: ابن جنيدل، عالية نجد ١٠٣٦/٣.

(٣) الدِّرعية بلدةٌ مجاورة لمدينة الرياض من جهة الشمال الغربي، وقد أصبحت الآن حياً من أحيائها.

(٤) ذكر ابن حميد في السحب الوابلة ٢٧٤/١ أنه ولد في بلدة العيينة وفي ذلك نظر؛ فقد نسب نفسه إلى الدرعية كما في بعض وقفياته، وكان على معرفة تامة بها كمعرفة سكانها كما في مجموع ابن منقور ٩٢/١ كما أن العيينة لم تكن مقصداً للسُّكنى في ذلك العهد؛ لاضطراب أحوالها. ينظر: ابن عيسى، التاريخ ٢٨.

(٥) فقد أدرك شيخَه المرداوي (ت٨٨٥هـ) في الشام، ومن البعيد أن يكون سافر إليها دون سن العشرين مع بعد المسافة وكثرة الأخطار في مثل هذه الأسفار الطويلة.

شيوخُه: أخذ عن عُلماء بلده، ثم رحل إلى بلاد الشام[١] فأخذ عن عُلمائها ولاسيّما الحنابلة، ولازم الشيوخ وجعل سكنه في مدرسة أبي عُمر المَقدسي في الصالحية بدمشق[٢]؛ ليتفرَّغ للطلب والمُطالعة، فبرع وفاق وتأهل للفتوى والتدريس، ونال الإجازات العلمية الكثيرة[٣].

ومن أشهر شيوخه، ما يأتي:

١- علي بن سُليمان المَرداوي (ت ٨٨٥هـ)[٤] صاحب الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، وكتاب تصحيح الفروع، وغيرهما[٥].

٢- يُوسف بن الحسن بن عبد الهادي (ت ٩٠٩هـ)[٦] صاحبُ

(١) كانت الشام هي الوجهة المفضَّلة للطلاب من أهل نجد؛ وذلك لتيسر الوصول إليها، وسهولة الاتصال بأهلها، ووفرة علماء الحنابلة فيها، ورغد عيشها. وقد سبقه بالرحلة إليها فضلُ بن عيسى النجدي (ت٨٨٢هـ)، وقاسم النجدي الذي وفد إليها بعد عام ٨٦٠هـ. ينظر: ابن عبد الهادي، الجوهر المنضَّد ١١٢.

(٢) ينظر: ابن بَدران، مُنادمة الأطلال ٢٤٤.

(٣) ينظر: ابن حُميد، السحب الوابلة ٢٧٥/١.

(٤) ينظر في ترجمته: العُليمي، المنهج الأحمد ١٥١/٢.

(٥) ينظر: ابن منقور، المجموع ١٣٥/٢، وابن حميد، السحب ٢٧٥/١.

(٦) ينظر في ترجمته: ابن العماد الحنبلي، الشذرات ٤٣/٨.

مُغني ذَوي الأفهام.

وقرأ عليه: في المقنع، وأصول ابن اللحام، وغيرهما[١].

٣- أحمد بن عبد الله بن أحمد العُسكري (ت ٩١٠هـ)[٢].

وقرأ عليه: في الفروع، وغيره. ولازمه مُلازمةً تامة، وقيَّد فوائده، وهو الذي يصفُه دائماً بشيخنا[٣].

تلاميذُه:

انتفع به خلقٌ كثير من أهل نجد، تفقَّهوا عليه وحضروا دُروسه واستفادوا من علمه وسمْته. ومن أشهر طلابه الذين لازموه، وأخذوا عنه:

١- أحمد بن إبراهيم بن محمد بن أبي حُميدان[٤].

٢- أحمد بن محمد بن مُشرَّف (ت ١٠١٢هـ)[٥].

---

(١) ينظر: ابن عبد الهادي، الجوهر المنضَّد ١٥، وابن مَنقور، المجموع ٤٠٦/١، وابن حُميد، السحب الوابلة ٢٧٥/١.

(٢) ينظر في ترجمته: ابن عبد الهادي، الجوهر المنضَّد ١٥.

(٣) ينظر: ابن مَنقور، المجموع ٤/١ ، ٤٠٦، وابن حميد، السحب ٢٧٥/١. وكان لا يأذن له بكتابة هذه التعليقات والفوائد وقت الدرس.

(٤) ينظر: ابن بسام، علماء نجد ٤٥٣/١، وإجازة موسى الحجاوي لأخيه محمد، ابن منقور، المجموع ٣٨٩/٢.

(٥) ينظر: ابن منقور، المجموع ٣٩٢/٢، وابن بشر، عنوان المجد ٣٠٣/٢، وابن عيسى، التاريخ ٤١. وقد أخذ أيضاً عن: موسى الحجاوي. وأخذ عنه: محمد بن إسماعيل،=

٣- أحمد بن فيرز بن بسَّام[١].

٤- أحمد بن محمد بن بسَّام (ت ١٠٤٠هـ)[٢].

٥- أحمد بن ناصر بن محمد بن بَريد (ت١٠٤٩هـ)[٣].

٦- زامل بن سُلطان[٤].

٧- سُلطان بن إدريس بن ريِّس[٥].

=وسليمان بن علي (١٠٧٩هـ). ينظر: ابن منقور ٣٩٢/٢ وابن بشر ٣٠٤/٢ ، ٣٢٦ ، ٣٢٩.

(١) ينظر: ابن بشر، عنوان المجد ٣٠٣/٢ ، ٣٠٦، وابن بسام، علماء نجد ٥٤٩/١. وكان قاضياً في مَلْهم والعُيينة.

(٢) ينظر: ابن منقور، المجموع ٣٤٩/٢، وقد أخذ أيضاً عن: محمد بن إسماعيل. ينظر: المصدر السابق ٢١٥/١، ٣٨٦/٢ ، ٢٤٧، ٢٥٩. ويظهر أنه أخذ عن ابن عطوة في صِغَره، وعُمِّر كثيراً. وقد تولَّى القضاء في القَصَب ومَلْهَم والعيينة.

(٣) ينظر: ابن منقور، المجموع ٤٨/٢. وقد أخذ أيضاً عن: محمد بن إسماعيل. ينظر: المصدر السابق ٨٩/١. ويظهر أنه كسابقه، وقد تولَّى القضاء في الرياض. وأخذ عنه: عبد الله بن ذَهلان. ينظر: المصدر السابق ١٠٩/١، ١٦١.

(٤) ينظر: ابن منقور، المجموع ٣٤٤/١ ، ٤٨١، وأخذ عن: الحجَّاوي، والفُتوحي. ينظر: المصدر السابق ٢٩٥/١ ، ٣٩٢ ، ٤٧٨ ، ١٠٤/٢ ، ٣١٦، وابن بشر، عنوان المجد ٣٠٤/٢. وتولى القضاء في الرياض.

(٥) ينظر: ابن بشر، عنوان المجد ٣٠٣/٢، وابن بسام، علماء نجد ٥٤٩/١.

٨- عبد الرحمن بن مُصبح[١].

٩- عبد القادر بن راشد بن بَريد[٢].

١٠- عثمان بن علي بن زيد[٣].

١١- محمد بن أحمد بن إسماعيل (ت١٠٥٩هـ)[٤].

١٢- محمد بن عبد القادر بن بَريد[٥].

---

(١) ينظر: ابن بشر، عنوان المجد ٣٠٣/٢، ابن بسام، علماء نجد ٥٤٩/١.

(٢) ينظر: ابن بشر، عنوان المجد ٣٠٣/٢، وابن بسام، علماء نجد ٥٤٩/١، وكان من قضاة أجود بن زامل، حاكم واحة الأحساء في زمنه.

(٣) ينظر: ابن بسام، علماء نجد ٥٤٩/١. وكان والدُه علي بن زيد من قُضاة أجود بن زامل. ينظر: ابن بشر، عنوان المجد ٣٠٣/٢. وولده بدر الدين حُسين: كان حنبلياً يتبحّر في المذهب وألَّف، ثم تحوَّل إلى المذهب الشافعي. ينظر: مجموع ابن منقور ٢٢٣/١، ٢١٦/٢، ٢٣١.

(٤) ينظر: ابن منقور، المجموع ١٩٥/١، ٢٢٥، ٣٩٢/٢ ويظهر أنه طلب العلم صغيراً وعُمِّر كثيراً. وقد أخذ عن: أحمد بن محمد بن مشرَّف. وأخذ عنه: عبد الله بن ذَهلان (ت١٠٩٩هـ)، وأحمد بن محمد القصيِّر (ت١١١٤هـ)، وقال عنه سُليمان بن علي: الشيخ الأمين، والشامة البيضاء في العالمين. ينظر: ابن منقور، المجموع ١٩٤/١، ٣٢٠، ٤٠٠، ٥٠٦، ٤٢/٢، ٢٢٨، ٢٩٧، وابن بشر، عنوان المجد ٣١٠/٣، ٣٢٤ ، ٣٢٦، ٣٤٢ ، ٣٥٢.

(٥) ينظر: ابن منقور، المجموع ٤٥١/١، ٣٩٢/٢. وقد أخذ عن والده، كما في المصدر السابق، وأخذ عنه: ابنه ناصر.

١٣- منصور بن يحيى بن مُصبح[(١)].

١٤- موسى بن أحمد الحجَّاوي (ت٩٦٨هـ)[(٢)].

١٥- موسى بن عامر (ت ١٠٢١هـ)[(٣)].

١٦- ناصر بن محمد بن بَريد (ت٩٨٣هـ)[(٤)].

المسألة الثالثة: فقهُه وفتاواه.

كان من مُجتهدي المذهب الحنبلي، يُعمل نظره فيما يذكره الحنابلةُ في مؤلفاتهم ولا يعتمد على النَّقل المجرَّد[(٥)]. فله اليد

(١) ينظر: ابن بسام، علماء نجد ٥٤٩/١، وكان قاضياً من قضاة أجود بن زامل. ينظر: ابن بشر، عنوان المجد ٣٠٣/٢.

(٢) ينظر: ابن منقور، المجموع ٢٥٣/١، وابن بسام، علماء نجد ٥٤٩/١. وقد أخذ عنه: عددٌ من علماء نجد، وهو صاحب الإقناع، وزاد المستقنِع، وكانت فتاواه مُعتبرة في نجد، وعلماؤها يكاتبونه ويستفتونه. وقد أسهم في حلِّ النزاع بين شيخه ابن عَطْوة، وبين الشويكي وابن رَحمة. ينظر: ابن منقور، المجموع ٢٥٣/١.

(٣) ينظر: ابن منقور، المجموع ٤٣٩/١، ٤٨٠، وابن بشر، عنوان المجد ٣٠٦/٢، وابن بسام، علماء نجد ٥٤٩/١. وتولَّى القضاء في الدرعية، والرياض. ينظر: ابن بشر، عنوان المجد ٣٠٦/٢.

(٤) ينظر: ابن منقور، المجموع ٢٢٣/١، ٤٧٨، ٤٨١. تولى القضاء في الرياض. ينظر: المصدر السابق ٤٥٥/١، ٥١٨، ١٠٥/٢. وربما كان شافعي المذهب بعد تحوّله إليه.

(٥) ينظر: ابن منقور، المجموع ٧٣/٢ ، ١٥٣ ، ٣٦٠/١.

الطُّولى في الفقه[(١)]، والتحقيقات النفيسة والتدقيقات اللطيفة[(٢)].

وقد اعتنى إلى جانب المذهب الحنبلي، بالمذهب المالكي وأكثر من النقل عنه[(٣)]؛ وربما كان لعناية أجود بن زامل حاكم الأحساء[(٤)] بهذا المذهب أثر في ذلك. كما كان كثير الاحتفاء بآراء شيخ الإسلام ابن تيمية واختياراته[(٥)]، مع الانتفاع بأقوال العُلماء في المذاهب الأخرى[(٦)].

وكان يُراعي في فتواه ما يجدُّ في حياة الناس من عوائد وأعراف، متخطياً في ذلك ما كان عليه بعضُ علماء عصره من الجمود والانكفاء والانغلاق، يقول فيما نُقل عنه: فمن أفتى الناس بمجرّد النقول في الكُتب على اختلاف عرفهم وعوائدهم وأزمنتهم

---

(١) ينظر: ابن بشر، عنوان المجد ٣٠٣/٢، وابن عيسى، التاريخ ٤١.

(٢) ينظر: ابن حميد، السحب الوابلة ٢٧٥/١.

(٣) ينظر: ابن منقور، المجموع ١٩٩/١، ٢٦٥ ، ٣٠٧ ، ٣٣٦ ، ٣٤٧ ، ١٩٨/٢ ، ٢٣٢ ، ٢٧٢ ، ٢٧٦.

(٤) ينظر في ترجمته: السخاوي، الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع ١٩٠/٨، وابن عبدالقادر، تحفة المستفيد ٢٠٩/١.

(٥) ينظر: ابن منقور، المجموع ١٩٩/١ ، ٢١٩ ، ٢٣١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٦ ، ٣٠٦ ، ٣١٥ ، ٣٢١ ، ٣٦٠ ، ٣٣/٢ ، ٤٨ ، ١٥٣.

(٦) ينظر: ابن منقور، المجموع ٤٦/١، ٨٤، ١٩٩، ٢٣٥، ٢٦١، ٣٣٦، ٧٤/٢، ٨٧، ٢٣١ عن كتاب الروضة.

وأمكنتهم وأحوالهم، فقد ضلَّ وأضل وكانت جنايتُه على الدين أعظم من جناية من تطبَّب للناس كلِّهم بما في كتب الطب[١].

مما جعل لآرائه وفتاويه القبول بين العلماء فضلاً عن العامة والدهماء، وكان لمنهجه أثره البالغ على مُعاصريه[٢] وتلاميذه وطلّابه ومن بعده. وظل لمدرسة ابن عطْوة الفقهية امتدادُها العميق. ويُعد الشيخ عبد الله بن محمد بن ذَهْلان (ت ١٠٩٩هـ) قاضي الرياض[٣]، وتلميذاه الأثيران: عُثمان بن قائد (ت١٠٩٧هـ) صاحب الحاشية المشهورة على المُنتهى، وأحمد بن مَنقور (ت ١١٢٥هـ) صاحب المجموع من أكثر المتأثرين بمنهجه واختياره.

المسألة الرابعة: صفاتُه ومكانته وثناء العلماء عليه.

صفاتُه ومكانته:

كان ذكياً قوي الحفظ فطناً محنكاً، معروفاً بالورع والتقوى

---

(١) ينظر: ابن منقور، المجموع ٣٣/٢، وينظر أيضا: ١٨٩/٢.

(٢) ينظر ما وقع بينه وبين بعض مُعاصريه من العلماء من مناظرات وردود علمية؛ كما وقع بينه وبين أحمد الشويكي (ت٩٤٩هـ) صاحب التوضيح، وبينه وبين عبد الله بن رحمة: ابن منقور، المجموع ٢٥٠/١ ، ٢٢٦ ، ٣٩٢/٢، وابن بشر، عنوان المجد ٣٠٣/٢ ، وابن حميد، السحب ٢١٥/١ ، ١١٣٤/٣ ، وابن جاسر، مفيد الأنام ١٢٥/٢.

(٣) ينظر: ابن بشر، عنوان المجد ٣٤٢/٢.

وحسن الخُلق[1]، حريصاً على طلب العلم والجد في التحصيل؛ فكان يكتب ما يسمعه من شيوخه في الدرس[2] معظماً لشيوخه وفياً لأساتذته؛ يحتفل بآرائهم واجتهاداتهم، وينقلُ عنهم في فتاويه وأجوبته. فانتشر علمُه وبقي أثره؛ بفضل الله ثم بجهوده وما كان يتمتع به من صدق وإخلاص وتواضع[3].

لا تراه يتردَّد في الاعتراف بالقُصور في معرفة بعض المسائل، والحاجة إلى مفاوضة العلماء أو التوقف عن الجواب[4]. بل إنه ترك الإفتاء في آخر حياته، وقال لمن طَلب منه ذلك: والذي أعرفك عرَّفك الله كلَّ خير أني من سنتين ما أفتيت، وقد عزمتُ على ترك الإفتاء[5].

كانت له المكانة السامية بين عُلماء وقته[6]، وإليه المُنتهى في

---

(١) ينظر: ابن منقور، المجموع ٤/١ ، ٢٠٥ ، ٢٣٢/٢، ٢٧٦، وابن حميد، السحب الوابلة ٢٧٥/١.

(٢) ينظر: ابن منقور، المجموع ٤/١.

(٣) ينظر: ابن منقور، المجموع ٥٥/١، ١٥٢، ١٦١، ١٩٥، ٢٧٥، ٢٥٩، ٢٨٨، ٣١٣وغيرها.

(٤) ينظر: ابن منقور، المجموع ١٢٠/١، ١٩١ ، ٢٠٤ ، ٢٢٤ ، ٣٠٥ ، ٨/٢ ، ٤٨ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٣٣٥ وغيرها.

(٥) ينظر: ابن منقور، المجموع ١٤٣/٢.

(٦) ينظر: ابن منقور، المجموع ٣٩٢/٢، وابن عيسى، التاريخ ٤١.

الفتوى في بلاد نجد[١]، مع ما كان يتحلَّى به من الصدع بالحق، ونقد ما يراه من انحراف[٢].

أثنى عليه شيوخُه[٣]، وحظي بالإجلال والاحترام، ونشر الله ذكره ورفع منزلته بين أهل عصره؛ حتى إنَّ جُملة من مؤرخي نجد جعل وفاته تاريخاً فاصلاً ابتدؤوا به كتبهم، كما صنع ابنُ يوسف وابن ربيعة وغيرُهما.

كان كثير الإحسان جواداً كريماً، ولما أراد الرجوع إلى وطنه من رحلته إلى الشام أوقف عدداً من كُتبه في المكتبة العُمرية في الصالحية بدمشق.

ثناءُ العلماء عليه:

نال ثناءَ العلماء وطلاب العلم وتمجيدهم؛ لما كان يتمتع به من صدق وإخلاص، وورع وفقه ونُصح وحُب للعلم وطلابه.

قال شيخُه يوسف بن عبد الهادي: له مشاركةٌ حسنة[٤].

وقال بكر بن عَتيق: الأخ العزيز ذو الشرف الأصيل والقدر

(١) ينظر: ابن منقور، المجموع ١٦١/١ ، ١٩٦ ، ١٩٩ ، ٢٠٥ ، ٢١٦ ، ٢١٨ ، ٢٣٩ ، ٣٦٦ ، ٢٦/٢ ، ١٠٦ ، ١٤٣ ، ٣٢٦، وابن حميد، السحب الوابلة ٢٧٥/١.

(٢) ينظر: نقده لبعض فقهاء عصره: ابن منقور، المجموع ٧٦/٢ ، ١٠٦.

(٣) ينظر: ابن عبد الهادي، الجوهر المنضد ١٥، وابن حميد، السحب الوابلة ٢٧٥/١.

(٤) ابن عبد الهادي، الجوهر المنضد ١٥.

الجليل، أكرم المناسب وأرفع المراتب. الشيخ العلَّامة أحمد بن يحيى. سلَّمه الله من كل سوء، ونوَّر قلبه بنور الهدى[1].

وقال عثمان بن قائد (ت ١٠٩٧هـ): العارف بالله تعالى، ذو الكرامات الظاهرة والآيات الباهرة[2].

وقال عُثمان بن بشر (ت١٢٩٠هـ): العالم العلام، كان له اليد الطولى في الفقه[3].

وقال ابن حُميد (ت ١٢٩٥هـ): تفقَّه ومهر في الفقه، فأجازه مشايخُه وأثنوا عليه. فرجع إلى بلده موفور النصيب من العلم والدين والورع، فصار المرجع إليه في قطر نجد والمشار إليه في مذهب الإمام أحمد. وانتفع به خلقٌ كثير من أهل نجد، تفقَّهوا عليه وألَّف مؤلفات عديدة. وله تحقيقات نفيسة وتدقيقات لطيفة[4].

وقال ابن عيسى (ت١٣٤٣هـ): كانت له اليد الطولى في الفقه. أخذ العلم عن عدة مشايخ، وأثنى علماء وقته على مؤلفاته[5].

---

(١) طُرَف الطرف (١).

(٢) عثمان بن قايد: إجازة الحبتي، كما في السحب الوابلة ٢٧٥/١. وفي هذه النعوت ما فيها من مبالغات الصوفية.

(٣) ابن بشر، عنوان المجد ٣٠٣/٢.

(٤) ابن حميد، السحب الوابلة ٢٧٥/١.

(٥) ابن عيسى، التاريخ ٤١.

المسألة الخامسة: وفاتُه ومكتبته ومؤلفاته.

وفاته:

بعد حياة حافلة بالعلم والتعليم، والدعوة والذَّود عن حمى العقيدة الصحيحة، وذلك ليلة الثلاثاء الثاني من شهر رمضان(١) عام ٩٤٨هـ(٢).

وقد دُفن في بلد الجُبيلة(٣)، بالقرب من قبر زيد بن الخطاب رضي الله عنه(٤).

---

(١) في السحب الوابلة لابن حميد ١/٢٧٧: الثالث من شهر رمضان.

(٢) ينظر في تاريخ وفاته: ابن منقور، المجموع ١/١٥٠، وابن ربيعة، التاريخ ٥١، وابن يوسف، التاريخ ٩٩، والفاخري، التاريخ ٨٣ ، وابن بشر، عنوان المجد ٢/٣٠٣، وابن حميد، السحب الوابلة ١/٢٧٥، وابن عيسى، التاريخ ٤١.

(٣) الجُبيلة قريةٌ صغيرة تقع على ضفة وادي حنيفة الجنوبية، بين الدّرعية والعُيينة. ينظر: ابن خميس، معجم اليمامة ١/٢٦٤.

(٤) يقول ابن منقور في المجموع ١/١٥٠: دُفن في الجبيلة ضجيع زيد بن الخطاب، خلفه وجه أحمد ورأسه حيال كتفي زيد اهـ. والمشهور بين الناس أنَّ قبور الصحابة تقع في الجبَّانة المقابلة للجبيلة من الجهة الجنوبية، وقيل تقع شمال البلدة على الطرف الجنوبي من رَوْضة عَقرباء. ينظر: الجاسر، مدينة الرياض ٥٧، ومجلة العرب، الجزء التاسع، السنة الثانية عشرة، وابن خميس، معجم اليمامة ١/٢٦٤.

مكتبتُه:

اجتمع لدى الشيخ عددٌ كبير من الكتب والمصادر سواء في نجد، أو في أثناء رحلته العلمية إلى الشام أواخر القرن التاسع.

إلّا أنّ الشيخ لما أراد الرجوع إلى بلاده قام بإهداء مكتبته إلى المكتبة العُمرية الشهيرة في الصالحية، وهي مكتبة الحنابلة الكُبرى في الشام[1]. وجعل هذه الكتب وقفاً على هذه المكتبة؛ ليعم الانتفاع بها. ولما تفرَّق شمل هذه المكتبة في القرون اللاحقة ضاع من هذه الكتب ما ضاع[2]، وبقي منها بقيَّةٌ حُفظ بعضها في المكتبة الظاهرية في دمشق، وتفرَّقت بقيتُها في بُلدان أخرى. ومن هذه الكُتب ما يلي:

١- اجتماعُ الجيوش الإسلامية، لابن القيم[3].

٢- الأحكام السلطانية، لأبي يعلى.

٣- اختياراتُ ابن تيمية، لابن عبد الهادي.

وكُتب على طُرتهما ما نصه: طالعه جميعه من فضل الله مالكُه،

---

(١) ينظر: الزَّيات، خزائنُ الكتب في دمشق وضواحيها (٧).

(٢) ينظر: ابن بدران، منادمة الأطلال ٢٤٤، والمحقق، الوراقة في البلاد السعودية ٦٣.

(٣) محفوظة في المكتبة الظاهرية بدمشق.

أحمد بن يحيى بن عطوة، ولله الحمد والمنة.

وكُتب بعده: وقف أحمد بن يحيى بن عطوة النجدي، المحل مدرسة أبي عمر في الصالحية[١].

٤- التذكرة، لابن عقيل.

٥- شرح كتاب العُمدة، لشيخ الإسلام ابن تيمية.

وكُتب على غلافهما ما نصه: وقف أحمد بن يحيى بن عطوة، المحل مدرسة أبي عمر بالصالحية[٢].

٦- شرح مختصر الرَّوضة، للطوفي.

كُتب على طُرته ما نصه: وقف أحمد بن يحيى النجدي، المحل مدرسة أبي عمر في الصالحية[٣].

٧- الفُروق، للسامُري.

وكُتب على طرة المخطوط ما نصه: وقف أحمد بن يحيى بن عطوة، المحل بمدرسة أبي عمر بالصالحية[٤].

٨- القواعد، لابن قاضي الجبل.

---

(١) محفوظان في المكتبة الظاهرية، وعن هذه النسخة طُبع كتاب الاختيارات عام ١٤٢٤هـ.

(٢) محفوظان في المكتبة الظاهرية، وعن هذه النسخة طُبع الجزء الأول من شرح العمدة عام ١٤١٢هـ.

(٣) محفوظ في المكتبة الظاهرية برقم ٩٧، وعنها طبع الكتاب عام ١٤١٠هـ.

(٤) محفوظ في المكتبة الظاهرية، وعنها طبع الكتاب عام ١٤١٨هـ.

كُتب على طرته ما نصّه: ملكه من فضل ربه، أحمد بن يحيى بن عطوة عفا الله عنه.

وكُتب بعده: وقف أحمد بن يحيى النجدي، المحل مدرسة أبي عمر في الصالحية[(١)].

٩- الكافية الشافية، لابن القيم[(٢)].

١٠- مسائل الإمام أحمد، رواية إسحاق بن منصور[(٣)].

١١- الواضح في أصول الفقه، لابن عقيل.

كُتب على طرته ما نصه: ملكه من فضل ربه، أحمد بن يحيى بن عطوة الدِّرعي.

وكُتب بعده: وقف أحمد بن يحيى النجدي،المحل مدرسة أبي عمر في الصالحية[(٤)].

مؤلَّفاته:

كَتب عدداً من المؤلَّفات التي انتشرت في وقته واستفاد منها من جاء بعده، ولاسيَّما الشيخ أحمد بن منقور (ت١١٢٥هـ) في كتابه:

---

(١) محفوظ في المكتبة الظاهرية رقم ٢٧٥٤.

(٢) محفوظ في المكتبة الظاهرية، وعنها طُبع الكتاب عام ١٤٢٨هـ.

(٣) محفوظ في المكتبة الظاهرية، وعنها طبع الكتاب عام ١٤٢٥هـ.

(٤) محفوظ في المكتبة الظاهرية، الرقمان ٧٨ ، ٧٩، والجزءُ الثالث محفوظ في مكتبة جامعة برنستون في أمريكا برقم ١٨٤٢، وعنها طُبع الكتاب عام ١٤٢٠هـ.

المسمّى بالفواكه العديدة في المسائل المُفيدة، والمعروف بمجموع ابن منقور. وقد ذُكر له من المؤلفات ما يلي:

١- التُّحفة البديعة[١].

كتابٌ في الفقه، يذكر المسائل الفقهية في المذاهب الأربعة.

٢- دُرر الفوائد وعِقيان القلائد[٢].

٣- الردّ على ابن رَحمة[٣].

ردَّ به على ابن رحمة في مسألة معيار التمر المَعجون، وأنَّ المعيار هو الوزن[٤].

٤- الرَّد على الشُّويكي[٥].

---

(١) ذكره ابنُ منقور في المجموع، ونقل عنه ١/٢٦٥ ، ٢/٢٢، وينظر: ابن بشر، عنوان المجد ٢/٣٠٣، وابن حميد، السحب الوابلة ١/٢٧٥.

(٢) ذكره ابن منقور في المجموع، ونقل عنه. وسمّاه عقيان القلائد ودرر الفوائد ١/١٢٦ ، ٢/١٨٩، وينظر: ابن حُميد، السحب الوابلة ١/٢٧٥.

(٣) ذكره ابن منقور في المجموع ١/٢٦٥ ، وابن بشر في عنوان المجد ٢/٣٠٣.

(٤) أيَّد ابن عطْوة في هذه الفُتيا وهي أن المعيار للتمر المجبول (المعجون) الوزن دون الكيل جمعٌ من علماء نجد في وقته، ذكر منهم ابنُ بشر: علي بن زيد، وعبد القادر بن بَريد، ومنصور بن مُصبح، وعبد الرحمن بن مُصبح، وأحمد بن فيروز، وسُلطان بن ريِّس. ينظر: ابن بشر، عنوان المجد ٢/٣٠٣.

(٥) ينظر: ابن بشر، المصدر السابق.

ردَّ به على الشويكي في المسألة السابقة[1].

٥- الرَّوضة الأنيقة[2].

مجموع فتاوى، نقل عنه ابنُ منقور في مواضع كثيرة[3].

٦- صفوة المنهل في بيان جهالة الأجهل[4].

٧- طُرف الطَّرف في مسألة الصوت والحرف.

وهي هذه الرسالة، وسيأتي الحديثُ عنها في المطلب الثاني.

٨- الفاصل بين الحق والباطل.

كتابٌ في الفقه[5].

---

(١) حمل الحجَّاوي فتوى كل منهما على وجه صحيح. ينظر: ابن منقور، المجموع ٢٥٣/١.

(٢) ينظر: ابن منقور، المجموع ٢٦٥/١، وابن بشر، عنوان المجد ٣٠٣/٢، وابن حُميد، السحب الوابلة ٢٧٥/١، وابن عيسى، التاريخ ٤١. ويُذكر أنه محفوظ في إحدى المكتبات الخاصة.

(٣) ينظر: ابن منقور، المجموع ١٠/١، ١٨٥ ، ١٩٩ ، ٢٠٤ ، ٢٣٤ ، ٢٤٤ ، ٣٣٦ ، ٤٠٦ ، ٥٥١ ، ٣٣/٢، ٢٣١، ٢٧٢، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧.

(٤) محفوظ في إحدى المكتبات الخاصة.

(٥) ينظر: ابن منقور، المجموع ٢/ ٢٥٤.

٩- الفَتاوى[١].

١٠- الفوائد على الفُروع.

تتبع فيه ما في كتاب الفروع لابن مفلح من المسائل المشكلة، وذلك مما استفاده من شيخه أحمد العُسكري[٢].

١١- المَنسك[٣].

المطلب الثاني:
رسالةُ طُرَف الطَّرف في مسألة الصوت والحرف[٤].

وفيه أربعُ مسائل:

المسألة الأولى: عنوانُ الرسالة وتوثيقُ نسبتها.

المسألة الثانية: سببُ تأليف الرسالة وموضوعُها وأهميتها.

المسألة الثالثة: منهجُ المؤلف ومصادره.

---

(١) نقل ابنُ منقور منها عن خطه. ينظر: المجموع، لابن منقور ٣٠٥/١، ٧/٢، ٤٨، ٦٤، ٧٦، ٧٨، ١٤٣، ١٥٣، ٢٢٤، ٢٢٧، ٣٣٥ قال ابن بشر في عنوان المجد ٣٠٣/٢: وله فتاوى كثيرة ا.هـ وقد بلغ ما في المجموع ١١٧ مسألة.

(٢) ذكره ابنُ بسام في علماء نجد ٥٥٠/١، ونقل منه المقدمة.

(٣) نقل عنه ابن جاسر في مفيد الأنام ١٢٥/٢، وذكره ابن بسام في علماء نجد ٥٥١/١، وأشار إلى عدد أبوابه وفصوله.

(٤) الطُّرَف: جمع طُرفة وهو ما يُستَملح. والطَّرْف: نظر العين. والصوت: جَرْس الكلام. والحرف: حروف المُعجم. ينظر: الفيومي، المصباح ٣٠٢ ، ٢٨٨ ، ١١٥.

المسألة الرابعة: وصفُ النسخ الخطية المُعتمدة.

المسألة الأولى: عنوانُ الرسالة وتوثيقُ نسبتها.

جاء في الأصل ونحوه في نسخة (س)، ما نصه: كتاب طُرَف الطَّرف في مسألة الصوت والحرف[1]. تأليف الشيخ أبي العباس، أحمد بن عطوة الحنبلي. وهكذا في النسخة التي اطلع عليها ابنُ عيسى[2] وهي بخط المؤلف.

وهذا كافٍ في الدلالة على صحة العُنوان وصحة نسبة الرسالة إلى مؤلفها، ولا يضر بعد ذلك عدم ذكرها ضمن مؤلفاته في كتب التراجم.

المسألة الثانية: سببُ تأليف الرسالة وموضوعُها وأهميتها.

سببُ تأليف الرسالة:

ذكر المؤلفُ سببَ تأليف الرسالة، وهو: الإجابة على سؤال ورد إليه من أحد طلَّاب العلم، يطلب منه بيانَ عقيدة الإمام أحمد بن

---

(١) هناك رسالةٌ بالعنوان نفسه، للشيخ أحمد بن محمد بن عوض المرداوي (ت١١٠٥هـ)، وهو من تلاميذ تلاميذ المؤلف. ينظر: ابن حميد، السحب الوابلة ١/٢٤٠.

(٢) ينظر: إبراهيم بن صالح بن عيسى (ت١٣٤٣هـ)، المجموع ٧٠/ب.

حنبل في هذه المسألة. وقد كانت مَثار خلافٍ وانقسام في بلده[١]، واتهاماتٍ مُتبادلة بين أنصار المؤلف وخُصومه.

موضوعُ الرسالة:

تمثِّل هذه الرسالة حلْقة من حلقات النقاش والجدل حول مسألة الصوت والحرف، بين أهل السنة والجماعة وبين الأشاعرة ومن تأثر بهم من الحنابلة.

والحديثُ عن كلام الله هل هو صوت وحرف أم لا وإنْ كان من البدع المُحدثة[٢] غير أنَّه كان لابُد من بيان الحقيقة، وإبطال مقالة أهل البدع.

أهمية الرسالة:

تناول الحنابلةُ هذه المسألة بالتأليف منذ أنْ وقع الخلاف بين الحنابلة أنفسِهم في هذه المسألة.

فكتب أبو يعلى جزءاً في ذلك سمّاه: إيضاح البيان في مسألة

(١) كان هذا الخلاف صدىً لخلاف مُحتدم في ذلك الوقت بين علماء الشام في هذه المسألة. ينظر: ابن حميد، السحب الوابلة ١٧١/١.

(٢) ينظر: ابن تيمية، التسعينية ٥٤٠/٢.

القرآن[1]، كما ألّف ابنُ عقيل كتاباً في مسألة الحرف والصوت[2]، وجمع محمد بن عبد الواحد المقدسي جزءاً في الأحاديث الواردة في هذه المسألة[3].

أمّا ابنُ قُدامة فأشبع الكلام فيها، وألف ثلاثة كتب لهذا الغرض، هي: الصراط المستقيم في إثبات الحرف القديم، والبرهان في بيان القرآن، وكتاب حكاية المناظرة في القرآن[4].

وجاءت هذه الرسالة لتسهم في إزالة ما وقع من اختلاف في هذه المسألة في زمن المؤلف خاصة وقد كان مرجعاً للعلماء في وقته.

---

(١) ينظر ما أورده ابنُ تيمية عليه من اعتراضات: درء تعارض العقل والنقل ٧٤/٢، ومجموع الفتاوى ١٥٨/٦.

(٢) مطبوعٌ عام ١٤١٣هـ بعنوان: جزءٌ في الأصول أصول الدين مسألة القرآن، وطُبع في مجلة الدراسات الشرقية بدمشق عام ١٩٧١هـ بعنوان: جزء في مسألة **الحرف والصوت**. وينظر ما أورد ابنُ تيمية على المؤلف من اعتراضات: درء تعارض العقل والنقل ٢٧٠/١ ، ١٦٠/٩، ونقض المنطق ١٣٥، وابن رجب، ذيل طبقات الحنابلة ٣٤٦/١.

(٣) ينظر: ابن رجب، ذيل طبقات الحنابلة ٢٣٩/٢.

(٤) هذه الكتب الثلاثة مطبوعة، الأول والثاني في مجلة البحوث الإسلامية، العددان ١٩ ، ٦٠ ، والثالث ط/ مكتبة الرشد عام ١٤٠٩هـ.

المسألة الثالثة: منهجُ المؤلف ومصادره.

استوعب المؤلِّف في رسالته على اختصارها جميعَ الجوانب المتعلقة بالمسألة، وكان النقاش هادئاً والحوار متزناً مدعماً بالأدلة الشرعية والأجوبة المُقنعة والرجوع إلى المصادر المعتبرة، سالكاً مسلك العلماء في الاستقراء والتتبع. إلّا أنه أكثر من النقل عن غيره، وربما نقل ألفاظاً لا تخلو من ملحوظات ومؤاخذات. وقد نُبه على ذلك في موضعه.

أمَّا مصادرُه فكثيرةٌ متنوعة، ولمؤلفين من فقهاء المذهب الحنبلي. وهي على قسمين:

القسم الأول: ما أشار إليه ونقل عنه.

والقسم الثاني: ما أشار إليه ولم ينقل عنه.

القسم الأول: ما أشار إلى اسمه أو اسم مؤلفه، ونقل عنه وهي بحسب ورودها، ما يأتي:

١- الحميَّة الإسلامية في الانتصار لمذهب ابن تيمية، للسُّرمُري.

٢- قصيدة الشيخ عبد الله الأنصاري.

٣- لُمعة الاعتقاد، لابن قُدامة.

٤- التسعينية، لابن تيمية.

٥- القواعد الأصولية، لابن اللَّحام.

٦- تحرير المنقول وتهذيب علم الأصول، للمرداوي.

٧- الإيضاح لقوانين الاصطلاح في الجدل، ليوسف بن الجوزي.

٨- شرح أصول ابن اللَّحام، للجُرَاعي.

٩- نهاية المُبتدئين، لابن حمدان.

١٠- مسائل أحمد، رواية عبد الله.

١١- رسالة أحمد إلى أهل نيسابور.

١٢- الياقوتة، لابن البنا.

١٣- صحيح البخاري، للبخاري.

١٤- المُعتمد، للقاضي أبي يعلى.

١٥- الصحيحان، للبخاري ومسلم.

القسم الثاني: ما أشار إليه، ولم ينقل عنه.

وهي بحسب ورودها أيضاً، ما يأتي:

١- الإيضاح،لابن الزَّاغوني.

٢- الإرشاد، لابن عقيل.

٣- التبصرة، للشِّيرازي.

٤- البُرهان، لابن قُدامة.

٥- الصواعق المرسلة، لابن القيم.

٦- الغُنية، لعبد القادر الجيلاني.

٧- شرح الأصبهانية، لابن تيمية.

٨- تلخيص التلبيس من تأسيس التقديس، لابن تيمية.

المسألة الرابعة: وصفُ النسخ الخطية المُعتمدة.

اعتمدتُ في تحقيق الرسالة على ثلاث نُسخ خطية:

النسخة الأولى: وتقع في ثلاث ورقات من الحجم الكبير، ومسطرتها ٢٥-٣١ سطراً.

كُتب في أولها ما نصه: كتاب طُرَف الطَّرف في مسألة الصوت والحرف، تأليف الشيخ أبي العباس، أحمد بن يحيى الحنبلي رحمه الله ورضي عنه آمين ثم آمين.

وجاء في آخرها ما نصه: فُرغ من تسويده، بقلم الفقير إلى ربه

عبد العزيز بن عبد الله بن عبد العزيز العنقري[1]. ثمانية وعشرين من شوال من سنة ألف وثلاثمائة وواحد وأربعين من الهجرة على مهاجرها أفضل الصلاة وأتم التسليم، وصلى الله على محمد وآله وسلم. بلغ مُقابله.

وهي نسخةٌ تامة ومُقابلة؛ ولذلك جعلتها أصلاً.

النسخة الثانية: وتتألفُ من ثمان ورقات، ومسطرتها ٢٣-١٩ سطراً. جاء في آخرها ما نصه: فَرغ من تسويده بقلمه، الفقير إلى ربه المنان سليمان بن عبد الرحمن بن حمدان[2]. سابع ربيع آخر من سنة ألف وثلاث مائة وواحد وأربعين من الهجرة على مهاجرها أفضل الصلاة وأتم التسليم، وصلى الله على محمد وآله وسلم. بلغ مقابله، فصح إن شاء الله تعالى.

وهي نسخةٌ تامة ومقابلة، وأصلُها محفوظ في مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية برقم ٢٢٣٩، ورمزتُ لها بحرف (س).

النسخة الثالثة: وهي ورقة واحدةٌ من أول الرسالة، نقلها إبراهيم

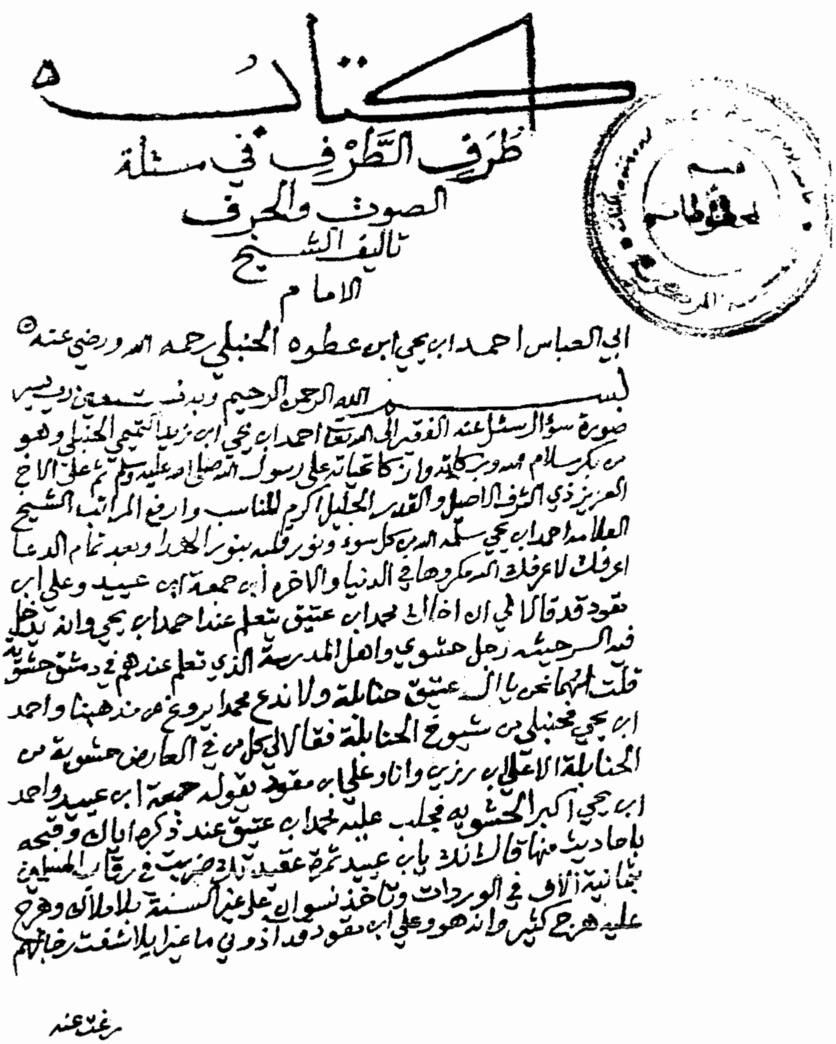
(١) ينظر في ترجمته المحقق: كتاب عبد الله العنقري حياته وفقهه وفتاواه، ص ٣٧.

(٢) ينظر في ترجمته: القاضي، روضة الناظرين ١/١٤٩.

ابـن عيـسى فـي مجموعـه[1]. قـال: كتـاب طُـرَف الطَّـرف فـي مـسألة الصوت والحرف، للشيخ شهاب الـدين، أحمـد بـن يحيـى بـن عطـوة ابـن زيـد التميمـي النجـدي الحنبلـي. ووجدتـه عنـد الأخ أحمـد بـن عبدالرحمن بن عبيد في جلاجل، بخط مصنفه في ثمان ورقات. ثم نقل الورقة الأولى، إلى قوله الجواب. ورمزتُ لها بحرف (ع).

(١) ابن عيسى، المجموع ٧٠/ب.

نماذج من الأصول المعتمدة


كتاب
طرف الطرف في مسئلة
الصوت والحرف
تاليف الشيخ
الامام
ابي العباس احمد ابن يحيى ابن عطوه الحنبلي رحمه الله ورضي عنه
بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين رب يسر
صورة سؤال رسل عنه الفقير الى الله تعالى احمد ابن يحيى ابن زيد التميمي الحنبلي وهو
من بكر سلام الله وبركاته وازكا تحياته على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم على الاخ
العزيز ذي الشرف الاصيل والقدر الجليل اكرم المناسب وارفع المراتب الشيخ
العلامة احمد ابن يحيى سلمه الله من كل سوء ونور قلبه بنور الهدا وبعد تمام الدعا
اعرفك لا عرفك الله مكروها في الدنيا والاخرة ابن حمعه ابن عبيد وعلي ابن
معقود قد قالا لي ان اخاك محمد ابن عتيق تعلم عند احمد ابن يحيى وانه يدخل
فيه السر خبيثه رجل حشوي واهل المدرسة الذي تعلم عندهم في دمشق حشوية
قلت انهما نعم يا الى عتيق حنابلة ولا ندع محمدا يروح من مذهبنا واحمد
ابن يحيى حنبلي من شيوخ الحنابلة فقالا لي كل من في العارض حشوية من
الحنابلة الا علي ابن رزين وانا وعلي ابن معقود نقوله حمعه ابن عبيد واحمد
ابن يحيى اكبر الحشوية فجلب عليه محمد ابن عتيق عند ذكره اياك وقبحه
باحاديث منها قال لك ذلك يا ابن عبيد ثمرة عقيدة اذ ضربت في رقاب المسلمين
بثمانية الاف في الوردات وناخذ نسوانهم على غير السنة بلا ملاك وهرج
عليهم هرج كثير والله هو وعلي ابن معقود قد اذوني ما غير انا اشفقت خاطرهم
رغبة عنه

صورة الورقة الأولى من نسخة (س)

كتاب طرف الطرف في
مسألة الصوت والحرف تأليف الشيخ
أبي العباس أحمد بن يحيى الحنبلي رحمه الله
ورضي عنه آمين
ثم آمين

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين رب يسر وأعن يا كريم ○

صورة سؤال سئل عنه الفقير إلى الله تعالى أحمد بن يحيى بن زيد التميمي الحنبلي وهو من بكر بسلام الله وبركاته وأزكى تحياته
على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم على الأخ العزيز ذي الشرف الأصيل والقدر الجليل الكريم المناسب وأرفع المراتب الشيخ العلامة
أحمد بن يحيى سلمه الله من كل سوء ونور قلبه بنور الهدى وبعد تمام الدعاء عزك لا عز لك الله تكون شافي الدنيا والآخرة أن جماعة
بن عبيد وعلي بن مسعود قد قالوا لي إن أخاك أحمد بن عتيق تعلم عند أحمد بن يحيى وأنه يدخل في المرجئة رجال حشوية وأهل
المدرسة الذي تعلم عندهم في دمشق حشوية فقلت لهم نحن آل عتيق حنابلة ولا ندع محمد بن يوغ عن مذهبنا وأحمد بن يحيى
حنبلي من شيوخ الحنابلة فقالوا لي كل من في العارض حشوية من الحنابلة إلا علي بن رزين وأن ... وعلي بن مسعود يقولون لجماعة
ابن عبيد وأحمد بن بكر الحشوية يجلب عليه محمد ابن عتيق عند ذكره إياكم ويقبحه بأحاديث منها قال إنك يا ابن
عبيد ثمرة عقيدتك ضربت في رقاب المسلمين بثمانية آلاف في الوردات وتأخذ نسوان على غير السنة بلا أملاك وهرج
عليه هرج كثير وأنه هو وعلي بن مسعود قد آذوني ما غير المشفق رجال لهم رغبة عنه فإني أسأل الله ثم أسألك تؤمن إلي بعقيدة
أحمد بن حنبل وما قيل لي من الحجج عليهم وهم يقولون نحن الشعرية ونشهد أن القرآن لا حرف ولا صوت وأن من يقول هو حرف
وصوت كافر ولهم أحاديث في حالنا وحالك ما أقدر على كتبها **الجواب** الحمد لله الذي حث قلوب أوليا
ئه إيمانا فلم يزدادوا بتقلب الأحوال إلا يقينا وعقد النصر بعد بابات الوتهم عناية منه فأكرم به معينا فأهلك كل شيطان
مريد بحصر من صبر أقلامهم وجعل عاقبة أمرهم نصرا عزيزا وفتحا مبينا وحمى شرعه المنزل بحماتهم من الفساق الذين توعد
هم بقوله تعالى تعيينا والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا فنحمد
الله ... على الهداية والتوفيق للإسلام ونسأله أن يغنينا الجهلة الطغام ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
تمجيدا وتنزيها ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي أقام الشريعة إلى أن شيدت مبانيها وصلى الله عليه وعلى آله و
صحبه النجوم كالأهلة في سماء هذه الملة وكاللآلي في أجياد لياليها ونعوذ بالله من نزغات الشيطان ومكره ... ما
هو ... خدعه ومكايده فقد صدق على هذه الأمة ظنه وزين لهم غير الطريق الأحمد وأجلب عليهم بخيله ورجله
وقعد لهم رصدا بكل مرصد ونصب لهم شركا بكل ربع وحجبهم عن كل منهج صريح فأصبح الناس إلا قليلا ممن عصمه الله
مفتونين

صح
صح

صورة الورقة الأولى من الأصل

طُرَف الطَّرْف
في مسألة الصوت والحرف

تأليف

أحمد بن يحيى بن عَطْوَة الدِّرْعي

(ت ٩٤٨هـ)

(النص المُحقَّق)

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين. ربِّ يسِّر وأعن يا كريم[١].

صورةُ سؤالٍ سُئل عنه الفقيرُ إلى الله تعالى: أحمد بن يحيى بن زيد التميمي الحنبلي. وهو: من بكر[٢].

سلامُ الله وبركاتُه وأزكى تحيَّاته، على رسول الله ، ثم على الأخ العزيز ذي الشَّرف الأصيل والقدر الجليل، أكرم المناسب وأرفع المراتب، الشيخ العلَّامة، أحمد بن يحيى. سلَّمه الله من كل سُوء، ونوَّر قلبه بنور الهُدى.

وبعد تمام الدعاء. أُعرِّفك لا عرَّفك الله مكروهاً في الدنيا والآخرة: أنَّ جمعة بن عُبيد[٣]، وعلي بن مقود[٤]، قد قالا لي: إنَّ أخاك محمد بن عَتيق[٥] يتعلَّم عند أحمد بن يحيى، وأنَّه يُدخل فيه

---

(١) وأعن يا كريم ليست في (س).

(٢) هو: بكر بن عبد الله بن عتيق بن بسام. وليس له ترجمة فيما بين يدي من المصادر.

(٣) جُمعة بن جامع بن عُبيد الهلالي الأنصاري. ولد في جلاجل، وكان والده قد قدم من المدينة. أخذ العلم عن أهل بلده، وعن بعض علماء الشام. من تلاميذه: محمد بن عفالق (ت ١١٦٣هـ) وحفيدُه: عُثمان بن جامع (ت ١٢٤٠هـ). ينظر: ابن بسام، علماء نجد ١/٢٤ ، ٥/١٠٩.

(٤) ليس له ترجمة فيما بين يدي من المصادر.

(٥) محمد بن عبد الله بن عتيق بن بسام، ابنه الناسخ المعروف: عبد الرحمن، له خط فائق نسخ عدداً من الكتب بقلمه. ينظر: المحقق، الوراقة في البلاد السعودية، ص٦٦.

السِّر. حيث إنه رجلٌ حَشْوي[١]، وأهل المدرسة الذين[٢] تعلم عندهم في دمشق حَشْوية.

قلتُ لهما: نحن يا آل عتيق حنابلة، ولا ندع محمداً يروغ[٣] عن مذهبنا. وأحمد بن يحيى حنبلي[٤]، من شيوخ الحنابلة.

فقالا لي: كلُّ من في العَارِض[٥] حشْوية من الحنابلة، إلَّا علي ابن رَزين[٦] وأنا وعلي بن مقود. يقوله جُمعة بن عُبيد. وأحمد بن يحيى أكبر الحشوية!

فجلب عليه محمدُ بن عتيق عند ذكره إياك، وقبَّحه بأحاديث منها. قال: إنك يا ابن عُبيد ثمرة عقيدتك: ضربت في رقاب المسلمين بثمانية آلاف في الواردات[٧]، وتأخذ نسواناً على غير

(١) الحَشْوية: الجهمية والمعتزلة وقد اتخذه بعضُ المتأخرين لقباً ينبزون به أهل السنة والجماعة. ينظر: ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل ١٤٨/٤.

(٢) الأصل (س): الذي والمثبت من (ع) وهو الصواب.

(٣) راغ: مالَ وحاد عن الشيء. القاموس ٤١٤/٢.

(٤) الأصل (س): فحنبلي. والمثبت من (ع) وهو الصواب.

(٥) يُطلق العارض قديماً على مدينة الرياض وما حولها من القرى. ويقصد به عند الجُغرافيين جبل طُويق الممتد في نجد وما أحاط به من البلدان.

(٦) (ع): علي بن زبن. وآل رَزين من أهل أثيثة، من العزاعيز من بني حنظلة من تميم. والمذكور ليس له ترجمة فيما بين يدي من المصادر.

(٧) الأصل (س): الوردات. والمثبت من (ع) ولعله الصواب.

السنة بلا مِلاك! وهرَج عليه هرْجاً كثيراً[1]. وأنه هو وعلي بن مقود قد آذوني، ما غير إلى شِفت رجَّالهم رغثُ عنه.

فإني أسأل الله، ثم أسألك: [أنْ][2] تُرسل إلي بعقيدة أحمد بن حنبل، وما لقِيت لي من الحجج عليهم.

فهم[3] يقولون: نحن أشعرية[4]، ونشهد أنَّ القرآن لا حرف ولا صوت، وأنَّ من يقول هو حرف وصوت كافر. ولهم أحاديثُ في حالنا وحالك، ما أقدر على كتبها.

الجواب:

الحمدُ لله الذي حشَا قلوبَ أوليائه إيماناً، فلم يزدادوا بتقلب الأحوال إلَّا يقيناً. وعقد النصر بعذَبات ألويتهم[5] عناية منه، فأكرِم به معيناً. فأهلك كلَّ شيطان مَريد بصرصرٍ من صرير أقلامهم، وجعل عاقبةَ أمرهم نصراً عزيزاً وفتحاً مبيناً.

(١) الأصل: هرج كثير. والمثبت من (ع) وهو الصواب. والهرج: التخليط. ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة ٤٩/٦.

(٢) ساقط من الأصل و (س).

(٣) الأصل (س): وهم.

(٤) الأشعرية: أتباع أبي الحسن الأشعري (ت٣٢٤هـ) في عقيدته المُسمّاة العقيدة الأشعرية. وقد تحول عنها بعد ذلك وحذر منها. ينظر: الذهبي، العبر ٣٢/٢.

(٥) العَذَبة: طرفُ كل شيء. القاموس ١٧٦/٣.

وحَموا شرعه المنزَّل، فحماهم من الفُساق الذين توعَّدهم بقوله تعالى يقيناً ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [سورة الأحزاب:٥٨] فنحمدُ الله تعالى[١] على الهُدى والتوفيق للإسلام، ونسأله أنْ يقينا أذى[٢] الجهلة الطُّغام.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، تمجيداً وتنزيهاً. ونشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله، الذي أقام الشريعة إلى أنْ شُيِّدت مبانيها.

صلَّى[٣] الله عليه وعلى آله وصحبه، الذين هم كالأهلة، في سماء هذه الملَّة، وكاللآلئ في أجياد لياليها.

ونعوذُ بالله من نزغات الشيطان[٤] ومصائده، ولطيف خِدعه ومكائده. فقد صدَّق على[٥] هذه الأمة ظنه، وزيَّن لهم غيرَ الطريق الأحمد، وأجلب عليهم بخيله ورَجله وأقعد لهم رَصداً بكل

(١) تعالى: معلقٌ في هامش الأصل، وعليه كلمة صح.

(٢) أذى: معلق في هامش الأصل وعليه كلمة صح.

(٣) الأصل: وصلى.

(٤) الأصل: الشياطين.

(٥) على: معلق في هامش الأصل وعليه كلمة صح.

مرصد، ونصب لهم شَركاً بكل ريع، وحجبهم عن كل منهج مَريع.

فأصبح الناس- إلَّا قليلاً ممن عصمه الله - مفتونين وفيما يوبقهم خائضين، وعن سبيل نجاتهم ناكبين، وبما وضعه الله عنهم متكلّفين وعما كلَّفهم مُعرضين. [١/أ]

قد صاروا شيعاً، ومزَّقوا الدين فهم يتسابُّون بالكفر ويتنافرون على الهُدى، وعاد الدين غريباً كما بدأ[(١)].

فماذا يُعجب من سلة السيف، وشمولِ الخوف، ونقص الأنفس والأموال، وتتابع المصائب والأهوال.

وهل نتوقع بعد تزيُّدنا في الغواية إلا التزيُّد في النكاية، حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين.

وكان السبب الموجِب لهذا الكلام: وقوعَ أمر غريب يحار فيه اللبيب، ويتعجب منه الأريب، وهو الطعنُ على أصحاب الإمام أحمد وأهل الحديث وتسميتهم حَشْوية، - وما يصدر هذا القول إلا عن عقْد خبيثٍ - وأنهم بإثبات الحرف والصوت في كلام الله تعالى

---

(١) كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم : ((بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ)) أخرجه مسلم في الصحيح، رقم ١٤٦ عن عمر رضي الله عنه. وانظر بقية التخريج في: سبيل النجاة والفِكاك ٢٥.

من الكفار المستوجبين بذلك دخول النار.

وهذا قولٌ شنيع، عجَّل اللهُ لقائله جزاءه، ونسأل الله العافية مما به ابتلاه.

فإنهم لم يزالوا بالسنة ظاهرين، وبعُروتها الوثقى متمسكين. أخملوا من القرناء كلَّ عظيم، وأخمدوا من البدع كلَّ حديث وقديم: بأدلة أقطع من السيوف، وأجمع من السجوف[1]، وأجلا من فَلَق الصباح وأصلب من فِلق الرماح. فأزالوا بنور السنة شُبهات الباطل المدلهمَّة[2]، وأسكنوا طنين الذباب في خياشيم المارقين عن دين الأمة. وإلّا فقد كادت السنة تبقى رِباعُها من غير طَلل ورسم، وتذهب ذهاب جَدِيس وطَسْم[3].

وتُؤذن آيُها بالطمس، ويُقرأ عليها: ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ﴾ [سورة يونس:٢٤] وتُدرج تحت طي النسيان، وتُطرح في زوايا الهِجران.

(١) الأصل و (س): السجود. ولعل المثبت هو الصواب. والسجوف: الستور. ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة ١٣٦/٣.

(٢) الأصل: المداهمة. ولعل المثبت هو الصواب.

(٣) قبيلتان من العرب العاربة، أبناءُ عم، جدُّهما إرم بن سام بن نوح. كانتا تسكنان جوَّ اليمامة، فقتلت كما قيل جَدِيسُ طَسْماً، ثم قتل حسان تُبَّع جديساً. ينظر: الطبري، التاريخ ٦٢٩/١، وابن حزم، جمهرة أنساب العرب ٤٦٢ ، ٤٨٦.

ولقد صدق الشيخُ الإمام العلامة الحافظ جمال الدين، يوسُف بن محمد بن مسعود بن [محمد بن][1] علي بن إبراهيم العبَّادي ثم العُقيلي السُّرَّمُرِّي نزيل دمشق الحنبلي[2]، في قوله:

والله لولا سيوفٌ من أئمتنا ... في كاهل الرفض[3] لا تلوي
لأضحت السنَّةُ الغراء داثرة ... بين البرية كالعنقا وأغرو به

وفي قوله:

وسِمْت بالحشو أهل الحق إذ ... وطائب العلم من قول بأطيبه
قوم أتاهم صحيحُ النقل فاتبعوا ... سبيلَه وحموه عن مكذبه
وأثبتوا لإله العرش ما ثبتت ... فيه النقول بلا شَبه يُقاس به
فرام بعضُ أولي التعطيل دحضَهم ... فآب من قصده الأدنى بأخيبه
فكل من قصُرت في العلم رتبتُه ... وقل ديناً يُجازى[5] في توثُّبه
فأحمدُ المصطفى عُودي وقيل له ... مذمَّم وتغالوا في تجنُّبه
وقيل ساحر أو مجنون أو رجل ... معلّم كاهن يسمو بأكعبه

---

(١) ساقط من الأصل و (س).

(٢) فقيهٌ محدث، ومؤلف مُكثر. ولد عام ٦٩٦هـ، ومات عام ٧٧٦هـ، له مختصر ابن رزين، وغيث السحابة، وغيرهما. ينظر: المنهج الأحمد ١٤٣/٥.

(٣) الأصل: الأرض. والمثبت هو الصواب.

(٤) الأصل (س): وموكبه.

(٥) (ط) تجرّا.

لو كان الاسم يَشين الفعلَ في لشان خيرَ البرايا من مُلقِّبه[١]

ومن[٢] أحسن ما قال الشيخ الإمام[٣] عبد الله بن محمد الأنصاري[٤] وهو على الكرسي بهَراة:

أنا حنبليٌّ إنْ[٥] حييتُ وإنْ أمت فوصيتي للناس أنْ يتحنْبلوا[٦]

ولقد أحسن القائلُ[٧] الآخر، حيث قال:

نحن قومٌ عن الشريعة راضون ولكن عن الكلام غضاب

ديننا الفقه والحديث وإجما عُ من مضى والكتاب

حنبليون مقتدون بابن شيبان أيُّها الأتراب

رحم الله أسلافَهم، وحفظ أخلافهم وإيانا والمسلمين، وجعلنا

---

(١) أبيات من قصيدته المعروفة بـ "الحمية الإسلامية في الانتصار لمذهب ابن تيمية" رد بها على السبكي. ينظر: الرد الوافر ٢٣٢، والسحب الوابلة ١١٨١/٣. وقد نُشرت ضمن مقدمة منهاج السنة ١١٧/١، ثم طبعت مفردة بتحقيق صلاح مقبول ط/ ١٤٢٦هـ.

(٢) (س): وما.

(٣) الإمام: معلقٌ في هامش الأصل.

(٤) فقيه مُفسر، ولد عام ٣٩٦هـ، ومات عام ٤٨١هـ. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء ٥٠٣/١٨.

(٥) (س): ما.

(٦) ينظر: ابن رجب، الطبقات ٦٨/١

(٧) القائل. ليست في (س).

بمذهبهم متمسكين ولطريقتهم النبوية مُتبعين، وأعاذنا من اتباع كلّ طائفة رديئة كالروافض والمجسِّمة والحشْوية والمُعتزلة والواقفية واللفظية. إنَّه على ما يشاء قدير[١]، وبالإجابة جدير.

وغير ذلك: فالواجبُ على كل مسلم طاعةُ الله سبحانه في القول والفعل والترك والنية، واتباعُ السنة المحمدية واقتفاءُ الآثار النبوية الأحمدية؛ قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [سورة الحشر:٧] إلى غير ذلك من الأحاديث والآثار المروية في وجوب اقتفاء السُّنة النبوية، التي ثبت فيها بالنقل الصحيح والقول الصريح إثباتُ الحرف والصوت في كلام الله تعالى، على ما[٢] يليق بجلاله وعظمته، بلا تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل.

وكلامُ الإمام أحمد وجميعِ أصحابه وغيرهم من أهل السنة في سائر الأعصار والأمصار بيّنٌ لا يُدفع، ومكشوف لا يتقنَّع. بل أوضحُ من النيِّرين، وأظهر من فَلَق الصُّبح لذي عينين: أنَّ الله سُبحانه وتعالى تكلَّم بالقرآن بحرفٍ وصوت، على ما يليق بجلاله

(١) في هذا الإطلاق إجمالٌ يُوهم أنَّ قُدرة الله لا تتناول ما لا يشاؤه. فلا يجوز هذا الإطلاق إلا أن يُقيّد بما يدفع هذا الاحتمال. ينظر: الدرر السنية ٢٩٨/٢.

(٢) ما: معلقٌ في هامش الأصل.

بلا تكييف ولا تشبيه[١].

وإنْ شك أحدٌ فيما نسبْتُ[٢] إليهم من ذلك، فلينظر بعين [١/ب] الإنصاف العريَّة عن الحسد والانحراف في: المُعتمد للقاضي أبي يعلى[٣] / ، والإيضاح لابن الزاغوني[٤]،

(١) ينظر: عبد الله بن أحمد، السنة ١/٢٨٠، وصالح بن أحمد، المحنة ٧٢، والخلال، السنة ٥/١٢٥، ٦، وابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل ٢/٣٨، والتسعينية ٢/٥٨٨.

(٢) (س): نُسب.

(٣) محمد بن الحسين بن محمد بن خلف الفراء، أبو يعلى البغدادي، فقيهٌ أصولي، ولد عام ٣٨٠هـ ومات عام ٤٨٥هـ. له كتاب أحكام القرآن، والروايتين والوجهين، والعُدة، والمعتمد في أصول الدين. ينظر: ابن أبي يعلى، طبقات الحنابلة ٣/٣٦١.

(٤) علي بن عُبيد الله بن نصر بن السري، أبو الحسن بن الزاغوني، فقيهٌ أصولي، مات عام ٥٢٧هـ. له كتاب الإقناع، والمفردات، والإيضاح في أصول الدين. ينظر: ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة ١/٤٠١ وكتاب الإيضاح طبع عام ١٤٢٤هـ نشر مؤسسة الملك فيصل.

والإرشاد لابن عَقيل[1][2]، والتبصرةِ للشيرازي[3]، وغاية الأمل، ونهاية المبتدئين لابن حمدان[4]، والبرهان لموفق الدين[5]، والياقوتة لابن البنا[6]، والإيضاح لابن الجوزي[7]، والصواعق المرسلة لابن

---

(١) علي بن محمد بن عقيل، أبو الوفاء البغدادي، فقيهٌ أصولي، ولد عام ٤٣٢هـ ومات عام ٥١٣هـ، له كتاب الفصول، والواضح، والإرشاد. ينظر: ابن رجب، ذيل طبقات الحنابلة ٣١٦/١.

(٢) هذه الكتب الثلاثة فيها مآخذ عقدية، ومنها: القول بقِدم القرآن. ينظر: ابن تيمية، التسعينية ٤٨٣/٢ ، ٤٩٩ والذهبي، سير أعلام النبلاء ٦٠٧/١٩.

(٣) عبد الواحد بن محمد بن علي الشيرازي، أبو الفرج المقدسي، فقيهٌ أصولي، توفي عام ٤٨٦هـ، له كتاب الإيضاح، والتبصرة. ينظر: ابن أبي يعلى، طبقات الحنابلة ٤٦١/٣.

(٤) أحمد بن حمدان بن شبيب بن حمدان، أبو عبد الله النميري، فقيهٌ. ولد عام ٦٠٣هـ ومات عام ٦٩٥هـ، له الرعايتان، وغاية الأمل. ينظر: ابن رجب، ذيل طبقات الحنابلة ٢٦٦/٤.

(٥) عبد الله بن أحمد بن محمد بن قُدامة، أبو محمد المقدسي، فقيه أصولي، ولد عام ٥٤١هـ ومات عام ٦٢٠هـ له كتاب المُغني، والروضة، والبرهان. ينظر: ابن رجب، ذيل طبقات الحنابلة ٢٨١/٣. والبرهان مطبوع عام ١٤٠٧هـ في مجلة البحوث الإسلامية.

(٦) الحسن بن أحمد بن عبد الله بن البنا، أبو علي، فقيه محدث. ولد عام ٣٩٦هـ ومات عام ٤٧١هـ، له المُقنع، والياقوتة. ينظر: ابن أبي يعلى، طبقات الحنابلة ٤٤٩/٣.

(٧) يوسف بن عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، أبو محمد، فقيه أصولي، ولد عام ٥٨٠هـ ومات عام ٦٥٦هـ له المذهب الأحمد، والإيضاح في الجدل. ينظر: ابن رجب، ذيل طبقات الحنابلة ٢٠/٤، وكتاب الإيضاح مطبوع عام ١٤١٢هـ.

القيم[١]، والغُنية لعبد القادر الكيلاني[٢] وشرح الأصبهانية، وتلخيص التلبيس من تأسيس التقديس للإمام ابن تيمية[٣]، وغيرها من كتب الأصحاب التي هي طافحةٌ بذلك.

فإنَّه والله يَظفر بالبيان، ويزن في ذلك بأرجح ميزان، ويتمسَّك بأوضح برهان.

فإنَّ هؤلاء، وغيرهم من أصحاب الإمام أحمد: قد نقلوا المسألة المذكورة عن إمامهم وغيره من أهل السنة والجماعة، نقلاً صحيحاً لا يشكُ فيه إلا جاهل.

وأيضاً: فالذي نقل هذه المسألة عن الإمام أحمد، هم الذين نقلوا فقهَ مذهبه. فإمَّا أنْ يُصدَّقوا في الجميع، وإما أنْ يُكذَّبوا فيه فيتعطَّل مذهبُه وتبطل أحكامه، وإلَّا كان المُنكر لذلك كمن آمن

(١) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي، أبو عبد الله ابن قيم الجوزية، فقيه أصولي محدث، ولد عام ٦٩١هـ ومات عام ٧٥١هـ، له زاد المعاد، وإعلام الموقعين، والصواعق المُرسلة. ينظر: ابن رجب، ذيل طبقات الحنابلة ٥/١٧٠.

(٢) عبد القادر بن أبي صالح بن عبد الله الجيلاني، أبو محمد، فقيه واعظ، ولد عام ٤٧٧هـ ومات عام ٥٦١هـ، له كتاب الغُنية لطالب طريق الحق، وفتوح الغيب. ينظر: ابن رجب، الذيل ٢/١٨٧.

(٣) كلاهما مطبوع الأول عام ١٣٨٥هـ، والثاني عام ١٤٢٦هـ بعنوان: بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية.

ببعض الكتاب وكفر ببعض.

ونرضى ممن يُنكر لما ذكرنا أنْ يُبيِّن لنا من طريق ثابت صحيح، أنَّ أحمد أو أحداً من أصحابه خالف فيما نُسب إليهم من ذلك.

ولنذكر بعضَ ما ذكر الأصحابُ من ذلك؛ تنبيهاً وإعلاماً به، وتنويهاً.

قال الشيخُ موفَّق الدين: ومن صفات الله تعالى أنَّه متكلِّم بكلام قديم غير مخلوق، وسمعه منه مَن شاء مِن خلقه. سمعه منه موسى عليه السلام من غير واسطة، ومَن أذِن له من ملائكته ورُسله. وأنَّه سبحانه وتعالى يكلِّم المؤمنين [في الآخرة](١) ويكلِّمونه، ويأذن لهم فيزورونه(٢).

إلى أن قال: ومِن كلام الله سبحانه القرآنُ العظيم، وهو كلامُه المُبين وحَبْلُه المتين، تنزيلٌ من ربِّ العالمين نزل به الروحُ الأمين على قلب سيّد المُرسلين بلسان عربي مُبين(٣) منزَّلٌ غير مخلوق،

(١) ما بينهما زيادةٌ من المصدر.

(٢) ابن قدامة، لُمعة الاعتقاد ١٥.

(٣) كما قال الله تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [سورة الشعراء:١٩٣-١٩٥].

منه بدأ وإليه يعود[1].

وهو سورٌ محكمات، وآيات بيّنات، وحروف وكلمات. من قرأه فأعربه، فله بكلِّ حرف منه عشرُ حسنات.

له أولٌ وآخر، وأجزاء وأبعاض. متلوٌّ[2] بالألسنة، محفوظ في الصدور، مسموعٌ بالآذان، مكتوبٌ في المصاحف. فيه مُحكم ومُتشابه، وناسخٌ ومنسوخ، وخاص وعام، وأمر ونهي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[3] [سورة فصلت:٤٢]. وذكر كلاماً كثيراً.

---

(١) قوله: منه بدأ وإليه يعود. أخرجه اللالكائي في أصول الاعتقاد ٢٣٠/٢ عن علي رضي الله عنه موقوفاً. وأخرجه ٢٣١/٢ عن ابن عباس رضي الله عنهما، بلفظ: منه خرج وإليه يعود. وأخرجه ٢٣٤/٢ عن عمرو بن دينار عن مشايخه. وقد اختلف العلماء في تفسير معنى قوله: وإليه يعود. فقيل: يُسرى به من الأرض في آخر الزمان. أخرجه عبد الرزاق في المصنف ٣٦٢/٣، وابن أبي شيبة في المصنف ٥٣٤/١٠، والبخاري في خلق أفعال العباد، رقم ٣٨١ ، ٣٨٢، وسعيد بن منصور في السنن ٣٣٥/٢، وابن جرير الطبري في التفسير ١٥٨/١٥، والبيهقي في السنن ٢٨٩/٦ عن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفاً. وقيل: يعود إليه نسبة. ينظر: الفتوحي، شرح الكوكب المنير ٨٨/٢. وعن الإمام أحمد: منه بدأ علمه وإليه يعود حكمه. رواية العكبري. ينظر: ابن أبي يعلى، طبقات الحنابلة ٥١٨/٢.

(٢) متلو: معلق في هامش الأصل، وعليه كلمة صح.

(٣) ابن قُدامة، لُمعة الاعتقاد ١٨ ، ١٩.

وقال شيخُ الإسلام، الشيخ تقي الدين ابن تيمية - في أثناء كلام له - في مسألة الصوت والحرف[1]: والتحقيقُ، هو أنَّ الله تعالى تكلَّم بالحرف كما يليق بجلاله وعظمته. فإنَّه قادرٌ، والقادر لا يحتاج إلى جوارح ولا إلى لَهَوات. وكذلك له صوتٌ كما يليق به يُسمع، ولا[2] يفتقر ذلك الصوت المقدَّس إلى الحلق والحنْجرة.

كلامُ الله تعالى[3] كما يليق به، وصوتُه كما يليق به. ولا يُنف الحرفُ والصوت من كلامه سبحانه، لافتقارهما منّا إلى الجوارح واللهَوات؛ فإنهما في جناب الحق تعالى لا يفتقران إلى ذلك[4].

وهذا ينشرح الصدرُ له، ويستريح الإنسانُ به من التعسُّف والتكلف، بقوله: هذه عبارةٌ عن ذلك.

وقال الشيخُ علاءُ الدين ابن اللَّحام[5]، في القواعد: الكلامُ ونحوه

---

(١) (س): الحرف والصوت.

(٢) - (٥) ما بينهما معلقٌ في هامش الأصل وعليه كلمة صح.

(٣) ما بينهما معلق في هامش الأصل وعليه كلمة صح.

(٤) ينظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى المجلد الثاني عشر، والتسعينية ٥٧٤/٢-١٠٣٨.

(٥) علي بن محمد بن عباس البعلي، أبو الحسن بن اللحام، ولد بعد عام ٧٥٠هـ ومات عام ٨٠٣هـ، له القواعد الأصولية، وتجريد العناية، وغيرهما. ينظر: المقصد الأرشد ٢٣٧/٢، والجوهر المنضَّد ٨١.

كالقول والكلمة، يُطلق عندنا: على الحروف المسموعة حقيقة، ويُطلق على مدلول ذلك مجازاً[١].

وصححه الإمامُ في المحصول، والمُنتخب في الأوامر[٢].

وقال الشيخُ علاء الدين المرداوي[٣]، في كتابه تحرير المنقول وتهذيب علم الأصول: الكتابُ: القرآن، وهو كلامٌ منزَّلٌ على محمد، مُعجز، متعبَّد بتلاوته. والكلام عند الأشعرية: مشتركٌ بين الحروف المسموعة والمعنى النفسي، وهو نسبةٌ بين مُفردين قائمة بالمتكلم.

وعند أحمد وأصحابه، والبُخاري وغيرهم: لا اشتراك.

قال الإمام أحمد، وابن المُبارك[٤]، والبخاري، وأئمة الحديث:

---

(١) الكلامُ عند أهل السنة والجماعة: يُطلق حقيقة على اللفظ والمعنى جميعاً. وقد وهم من نسب غير ذلك إلى الإمام أحمد. ينظر: ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل ١٧/٢ ، ١٠٠، والتسعينية ٤٣٥/٢.

(٢) ابن اللحام، القواعد الأصولية ١٥٤.

(٣) أبو الحسن،علي بن سليمان بن أحمد بن محمد، المرداوي، فقيهٌ أصولي، ولد عام ٨١٧هـ، ومات عام ٨٨٥هـ، له الإنصاف في تصحيح المُقنع، والتحرير في الأصول، وغيرهما. ينظر: الجوهر المنضَّد ٩٩.

(٤) عبد الله بن المبارك بن واضح التميمي مولاهم، أبو عبد الرحمن المروزي، فقيه محدث ثقة ثبت جواد مجاهد، جُمعت فيه خصال الخير، ولد عام ١١٨هـ ومات عام ١٨١هـ. ينظر: المزي، تهذيب الكمال ٥/١٦، وابن حجر، التقريب ٥٤٠.

لم يزل الله تعالى متكلماً إذا شاء وكيف شاء بلا كيف. قال القاضي أبو يعلى: إذا شاء أنْ يُسمِعنا(1).

وقال أحمد أيضاً: لم يزل يأمر بما يشاء ويحكم. وقال أيضاً: القرآن مُعجز بنفسه.

قال جمعٌ: مقتضاه أنَّه مُعجز في لفظه ونظمه ومعناه، كالحنفية(2) وغيرهم(3).

وقال الشيخُ الإمام العالم العلَّامة، الصاحب الصدر الكبير، مُحيي الدين أبو محمد، يُوسف ابن الشيخ الإمام العالم جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي، في كتاب الإيضاح لقوانين الاصطلاح في الجدل: ومنعُ كون الصّيغ كلاماً يُخالف إجماعَ أهل اللسان، [٢/أ] ويُناقض الأحكام الشرعية. فإنَّه لو حلف أنْ لا يتكلَّم، لا يحنث بوجود معنى يقوم بنفسه. ويزيدُ ما قرَّرناه إيضاحاً قولُه تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [سورة التوبة:٦] وإنما يسمعُ الصيغَ المنطوقَ بها(4).

(١) مذهب أهل السنة والجماعة: أن الله تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء أن يتكلم، لا أنَّ كلام الله لا يُسمع حتى يخلق إدراكاً في المستمع.

(٢) ينظر: البخاري، كشف الأسرار ٢٣/١.

(٣) المرداوي، التحرير (مع التحبير) ١٢٣٨/٣ ، ١٢٤٦ ، ١٣٥٤.

(٤) ابن الجوزي، الإيضاح ١٢٩.

وقال الشيخُ تقي الدين الجُرَاعي، في شرح ابن اللحام[١]: أهل العلم، من أهل السنة والآثار: على أنَّ الله تعالى لم يزل مُتكلِّماً إذا شاء بكلام مسموع مفهوم؛ لأن الكلام من صفات الحي القادر وضدُّه من النقائص، والله تعالى منزَّهٌ عنها.

وقال الشيخُ الإمام نجمُ الدين ابن حمدان، في نهاية المُبتدئين: قال أحمد: لم يزل اللهُ متكلماً كيف شاء، بلا تكييف. وفي لفظ: إذا شاء. قال القاضي: إذا شاء أنْ يُسمعنا[٢].

وقال: القرآنُ كيف صُرِّف هو غير مخلوق، ولا نرى القول بالحكاية عنه صواباً. وغلَّط من قال بها، وجهَّله. إلى أنْ قال: ونصَّ على أنَّه حروفٌ وأصواتٌ، وسورٌ وآيات [٣]وكلمات. وقال في رواية ابنه عبد الله: تكلَّم الله بصوت[٤]، وإنَّما يُنكر هذا الجهمية[٥]،

---

(١) أبو بكر بن زيد بن أبي بكر الحسني الجُرَاعي، مات سنة (٨٨٣هـ) له غاية المطلب، وشرح أصول ابن اللحام. ينظر: العليمي، المنهج الأحمد ٢٨٢/٥ وابن حميد، السحب الوابلة ٣١٢/١.

(٢) ينظر: ما تقدم من نقد ذلك.

(٣) ما بينهما معلق في هامش (س) وعليه كلمة صح.

(٤) ما بينهما معلق في هامش (س) وعليه كلمة صح.

(٥) الجهمية: أتباع الجهم بن صفوان الراسبي مولاهم، أبو محرز السمرقندي، قتله نصر بن سيار في خُراسان سنة ١٢٨هـ. ينظر: ابن حجر، لسان الميزان ١٤٢/٢.

وإنما يدورون على التعطيل[1].

وقال أيضاً في رسالته إلى أهل نَيْسابُور[2]: مَن زعم أنَّ حروف الهجاء مخلوقةٌ فهو كافر؛ ولأنه سلك طريقاً إلى البدعة. قال: ومتى قال بذلك حكم بأن القرآن مخلوقٌ. وذكر نصوصاً عن الإمام أحمد في ذلك[3].

وقال ابنُ البنا - أظنه في الياقوتة -: كلامُ الله تعالى حرفٌ مفهوم وصوت مسموع، لا مِن جنس حروفنا وأصواتنا كسائر صفاته الذي لذاته. نص عليه أحمد.

وكلامُ الأصحاب في ذلك كثير، وقد أشرنا إلى بعض أماكنه. فمن أراده، فليطلُبه من هناك.

ولعمري، لو استقصينا في ذكر أدلة ما ذهب إليه الإمامُ أحمد وأصحابُه، وغيرهم من أهل السنة والجماعة في المسألة المذكورة نقلاً وعقلاً، لضاق به ناضر الأوراق. لكن ما لا يُدرك بكُلِّيته

---

(١) ينظر: عبد الله بن أحمد بن حنبل، كتاب السنة ١/١٣٢.

(٢) نيسابور: مدينة في خراسان، تقع الآن شرق إيران على حدود تركمنستان. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان ٥/٣٣١، وأطلس العالم.

(٣) ينظر: الإمام أحمد، الرد على الزنادقة والجهمية ٢٧٦. واللالكائي، أصول الاعتقاد ٢/٢٦٢.

لا يُترك بكليته، جمعاً بين المصلحتين بذكر ما لا يُملّ ولا يُخِل. قال الله تعالى: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ [سورة الجن:١]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟﴾ [سورة الأعراف:٢٠٤] وهذا نصٌّ في أنَّه مسموع.

وقال تعالى: ﴿إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ [سورة طه:١٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [سورة النمل:٩]، وقال تعالى: ﴿إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة القصص:٣٠] وهذا نصٌّ على أنه صوت. وقال تعالى إخباراً عن قُريش: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ [سورة المدثر:٢٥-٢٦] ومعلومٌ أنَّهم أشاروا إلى التلاوة التي يسمعونها من النبي صلى الله عليه وسلم، فلمَّا توعَّدهم على ذلك دلَّ أنَّها ليست بقول البشر.

وقال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [سورة النساء:١٦٤]، وقال تعالى: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى﴾ [سورة الأعراف:١٤٤]، وقال تعالى: ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ﴾ [سورة الشورى:٥١]، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ [سورة طه:١١-١٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى﴾ [سورة طه:١٤] وغيرُ جائز

أنْ يقول هذا إلّا الله عز وجل[1]. وقال تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾[سورة يس:٦٩]

قال الشيخ الموفّق: فلما نفى اللهُ سُبحانه عنه أنه شِعر[2] وأثبته قرآناً، لم يبق شبهةٌ لذي لُب في أنَّ القرآن هو هذا القرآن العربي، الذي هو كلماتٌ وحروف وآيات؛ لأن ما ليس كذلك ما يقول أحدٌ إنه شِعر. وقال تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ [سورة البقرة:٢٣] ولا يجوز أنْ يتحدَّاهم بالإتيان بمثل ما لا يُدرى ما هو، ولا يُعقل.

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴾[سورة الواقعة:٧٧-٧٨]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓ ﴾[سورة يونس: ١٥] وهذا نصٌّ أن القرآن هو الآيات التي تُتلى عليهم. وقال تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾[3] [سورة العنكبوت:٤٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾[سورة النساء:١٢٢]،

---

(١) ينظر: الإمام أحمد، الرد على الزنادقة والجهمية ٢٦٦ وابن قدامة، لمعة الاعتقاد ١٦.

(٢) الأصل و (س): ليس بشعر. تحريف.

(٣) ابن قدامة، لمعة الاعتقاد ١٩-٢٠.

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [سورة النساء:٨٧]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾ [سورة المائدة:١١٦]، وقال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [سورة الأنعام:١١٥]، وقال تعالى: ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ﴾ [سورة الأعراف:٢٢]، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [سورة القصص:٦٢]، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [سورة القصص:٦٥]، وقال تعالى: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ [سورة البقرة:٧٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [سورة النمل:٧٦]، وقال تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾ [سورة الأنعام:٩٢] ، وقال تعالى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾[سورة الحشر:٢١]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [سورة النحل:١٠٣]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة النحل:١٠١].

وهذا البابُ في كتاب الله تعالى كثيرٌ. من تدبَّر القرآنَ طالباً للهُدى منه، تبيَّن له طريقُ الحق إنْ شاء الله تعالى.

وقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: ((**إذا تكلَّم اللهُ بالوحي سمع صوتَه أهلُ السماء فيخرُّون سجَّداً**)) إلى آخر الحديث. أخرجه البخاريُّ في صحيحه[1].

وقال : ((**يُحشر العبادُ فيناديهم بصوت يسمعه من [بعُد كما يسمعه من][2] قرُب. أنا الملك أنا الدَّيان**)) رواه البخاريُّ في كتاب التوحيد[3].

وقال صلى الله عليه وسلم: ((**من أحبَّ أن يسمع القرآن جديداً غضاً كما أُنزل فليسمعه من ابن مسعود**))[4] فنصَّ على أنَّ سماعَه

٢/ب

---

(١) البخاري في الصحيح معلقاً موقوفاً عن ابن مسعود (مع فتح الباري) ٤٥٢/١٣، وأخرجه أبو داود في السنن، رقم ٤٧٣٨، والبيهقي في الأسماء والصفات، ٢٦٢ مرفوعاً، وله شاهد من حديث أبي هريرة في الصحيح. وينظر بقية التخريج في فتح المجيد ٣٤٣/١.

(٢) ما بينهما ساقط من الأصل و (س)، ومن أصول مسند أحمد المعروفة.

(٣) البخاري في الصحيح معلقاً (مع فتح الباري) ٤٥٣/١٣ من حديث جابر، عن ابن أنيس. وأخرجه موصولاً: أحمد في المسند ٤٩٥/٣، والبخاري في الأدب المفرد، رقم ٩٧٠، وابن أبي عاصم في السنة، رقم ٥١٤، والطبراني في الأوسط، رقم ٨٥٨٨ بإسناد حسن، وله شاهدٌ من حديث ابن مسعود: في الصحيح للبخاري، رقم ٧٥١٣، ومن حديث أبي هريرة: عند مسلم في الصحيح، رقم ٢٧٨٦، وعن ابن عمر في الصحيح، رقم ٢٧٨٨.

(٤) أخرجه أحمد في المسند ٤٤٥/١ ، ٤٥٤ ، وابن أبي شيبة في المصنف ٥٢١/١٠ ، وابن ماجه في السنن، رقم ١٣٨، والطبراني في الكبير، رقم ٨٤١٧ ، ٨٤١٤ ، ٨٤١٥ ، ٨٤٦٢ بإسناد حسن، عن ابن مسعود. وله شاهدٌ من حديث: عمر وأبي بكر، وعلي، وأبي هريرة، وغيرهم رضي الله عنهم.

من ابن مسعود رضي الله عنه.

وقال صلى الله عليه وسلم: ((**من قرأ القرآن فأعربه فله بكل حرف منه عشرُ حسنات، ومن قرأه ولَحن[١] فيه فله بكل حرفٍ حسنة**))[٢].

وقال صلى الله عليه وسلم: ((**اقرؤوا القرآن قبل أن يأتي قومٌ يُقيمون حروفه إقامة السهم لا يجاوزُ تراقيهم[٣]، يتعجَّلون أجره ولا يتأجَّلونه**))[٤].

إلى أمثال هذه الأحاديث، الذي يُخبر فيها رسول الله صلى الله

(١) اللّحن: الخطأ في الإعراب ومخالفة وجه الصواب. ينظر: الفيومي، المصباح المنير ٤٤٩.

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط كما في مجمع الزوائد ١٦٣/٧ وضعَّفه، عن ابن مسعود. وله شاهدٌ من حديث عائشة، رواه الطبراني في الأوسط كما في مجمع الزوائد ١٦٣/٧ وضعفه. وشاهدٌ من حديث عمر: أخرجه الكلاباذي كما في مصاعد النظر ٢٨١/١، وصححه ابنُ قدامة في اللمعة ٢١.

(٣) التراقي: جمع تَرْقُوة، وهي العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق من الجانبين. ينظر: الفيومي، المصباح المنير ٧١.

(٤) أخرجه أبو داود في السنن، رقم ٨٣٠، وأحمد في المسند ٣٩٧/٣ ، ٣٥٧، والبيهقي في الشعب، رقم ٢٦٤٢، وأبو يعلى في المسند، رقم ٢١٩٧ بإسناد صحيح، عن جابر. وله شاهدٌ من حديث أنس: رواه أحمد في المسند ١٤٦/٣ ، ١٥٥، وشاهد عن عمران بن حصين: في المسند ٤٣٢/١ ، ٤٣٣ ، ٤٣٦، وشاهد عن سهل بن سعد: رواه ابن حبان في الصحيح، رقم ٧٦٠، والطبراني في الكبير، رقم ٦٠٢٤ ، ٦٠٢١ ، ٦٠٢٢.

عليه وسلم عن ربه بما يُخبر.

وقال أبو بكر، وعمر رضي الله عنهما: إعرابُ القرآن أحبُّ إلينا من حفظ بعض حروفه[1].

وقال عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه: من كفر بحرفٍ منه فقد كفر به كلِّه[2].

وسُئل عن الجُنب يقرأ القرآن. فقال: لا، ولا حرف[3].

وقد اتفق المسلمون على عدد سُور القرآن، وآياته، وكلماته، وحروفه[4].

ولا اختلاف بين المسلمين أنَّ من جَحد من القرآن سورةً أو آية

---

(١) أخرجه أبو عُبيد في فضائل القرآن ٣٤٨، وابن أبي شيبة في المصنف ٤٥٦/١٠.

(٢) أخرجه عن ابن مسعود: أحمد في المسند ٣٢٤/٥، وابن أبي شيبة في المصنف ٥١٣/١٠، والطبري في التفسير ١٤/١، والطبراني كما في المجمع ١٥٣/٧، وابن الضِّريس في فضائل القرآن، رقم ٣٠٨.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في المصنف ٣٣٦/١ ، وابن أبي شيبة في المصنف ١٠٢/١، وابن المنذر في الأوسط، رقم ٦١٩، ٦٢٠، والدارقطني في السنن ١١٨/١ بإسناد صحيح. والمذهب عند الحنابلة، وقول عامة أهل العلم: يحرم على الجُنب والحائض قراءة آية فصاعداً. ولا يحرم بعضُ آية، في المذهب عند الحنابلة وقول طائفة من أهل العلم. ينظر: ابن أبي عمر، الشرح الكبير ١١٠/٢، والمرداوي، الإنصاف ١١٠/٢.

(٤) ينظر: ابن حزم، مراتب الإجماع ١٧٣.

أو كلمة، أو حرفاً متفقاً عليه أنَّه كافر[١].

وذكر القاضي في المُعتمد: أنَّه لو كان ما في النفس يُسمَّى كلاماً على الحقيقة، لما وصف أهلُ اللغة الأخرس والساكت: أنَّه غيرُ متكلم؛ لتجويزهم أن يكون في النفس كلام.

كما لا يصفونه بأنَّه غير مُريد؛ لمَّا جوَّزوا أن يكون في النفس إرادة.

ولمَّا وصف الأخرس والساكت بعدم الكلام، دلَّ على أنه الحروف والأصوات. وأنَّه[٢] لو كان ما في النفس يُسمَّى كلاماً لم يصح أنْ يقال في العبارة: إنها تدل عليه؛ لأنه لا نسبة بينها وبينه ولا تعلُّق.

ولِم صارت بأن تدل عليه أولى[٣] من أن [لا][٤] تدل عليه كسائر أفعال القلوب.

وذكر الشيخ تقيُّ الدين الجُرَاعي في شرح ابن اللَّحام: عن ابن

(١) ينظر: ابن حزم، مراتب الإجماع ١٧٤.

(٢) (س) ولأنه.

(٣) (س) بأولى.

(٤) ما بينهما ساقطٌ من الأصل.

بُرهان[1]، أنه ذُكر عن الأشعري في المسألة ثلاثة أقوال:

أحدها: الاشتراك. والثاني: أنه حقيقة في اللفظ مجازٌ في مدلوله. والثالث: عكسُه. مجازٌ في اللفظ حقيقة في مدلوله.

ثم ذكر دليلَهم على الاشتراك، وهو الاستعمال؛ لأنه قد استُعمل لغة وعُرفاً فيهما، والأصلُ في الإطلاق الحقيقة فيكون مُشتركاً[2].

أمَّا استعمالُه في العبارات فكثيرٌ ظاهر، كقوله تعالى: ﴿يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة:٧٥]، وقوله تعالى: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [سورة التوبة:٦]، وأمَّا استعمالُه في المعنى النَّفسي وهو مدلولُ العبارة فكقوله[3] تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ﴾[4] [سورة المجادلة:٨]، وقوله: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ﴾[سورة الملك:١٣]،

---

(١) أحمد بن علي بن محمد الوكيل، أبو الفتح ابن بُرهان. فقيهٌ أصولي محدّث، ولد ببغداد عام ٤٧٩هـ وتوفي عام ٥٢٠هـ، له البسيط، والوسيط، والوصول إلى علم الأصول، ينظر: طبقات السبكي ٣٠/٦

(٢) ينظر: ابن برهان، الوصول ١٣٠/١، وابن اللحام، القواعد الأصولية ١٥٤.

(٣) (س): كقوله.

(٤) من قوله: وهو مدلول. إلى: في أنفسهم. معلقٌ في هامش الأصل وعليه كلمة صح.

وقول عمر رضي الله عنه يوم السَّقيفة[١]: زوَّرتُ في نفسي كلاماً[٢].

وقول الشاعر، وهو الأخطَل[٣].

إنَّ الكــلام لفــي الفــؤاد وإنمــا   جُعل اللسانُ على الفؤاد دليلاً[٤]

ثم ذكر عن الإمام أحمد وأصحابه والجمهور: عدم الاشتراك، وأنَّ الكلام إنما هو الأصواتُ والحروف. والمعنى النفسي لا يُسمّى كلاماً، أو يسمَّى مجازاً[٥].

قال: والدليلُ على ذلك: من الكتاب، والسنة، وإجماع أهل اللغة والعُرف.

أمــا الكتــاب: فقولــه تعــالى: ﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ

(١) يوم السقيفة: يومُ وفاة النبي صلى الله عليه وسلم حين اجتمع الأنصار عند سعد بن عُبادة في تلك السقيفة، فبايعوا أبا بكر الصديق رضي الله عنه. والسقيفة: ظلة كانوا يجلسون تحتها عند بئر بُضاعة. وهي لبني ساعدة: حي من الخزرج، وتقع اليوم في حديقة عامة شمال غرب المسجد النبوي. ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية ٨١/٨، الفيروز آبادي، المغانم المطابة ٨٤٢/٢، الخيّاري، تاريخ معالم المدينة ١٤٨.

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح، رقم ٢٤٦٢ ، ٣٤٤٥، ٣٩٢٨، ومسلم في الصحيح، رقم ١٦٩١، وأحمد في المسند ٥٥/١.

(٣) غياث بن غوث، أبو مالك التغلبي، من نصارى العرب. ينظر: ابن قُتيبة، الشعر والشعراء ٤٨٣/١.

(٤) سيأتي الكلامُ على تزوير هذا البيت.

(٥) ينظر: المرداوي، التحبير ١٢٥٤/٣.

لَيَالٍ سَوِيًّا ﴾ [سورة مريم:١٠-١١] فلم يسمّ الإشارة كلاماً.

وقال لمريم: ﴿فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ﴾ [سورة مريم:٢٦].

وأما السنة: ففي الصحيحين، أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إنَّ الله تجاوز لأمتي ما حدَّثت به أنفسها ما لم [تتكلم أو][(١)] تعمل))[(٢)].

وكذا [قال صلى الله عليه وسلم][(٣)] لمعاذ: ((أمسك عليك لسانك))[(٤)] قال: وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: ((ثكلتك أمك وهل يكب الناس على وجوههم - أو على مناخرهم - إلا حصائدُ ألسنتهم))[(٥)].

وقال صلى الله عليه وسلم: ((وإذا قال الإمام: {ولا الضالين}

---

(١) إضافة من مصادر التخريج.

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح، رقم ٢٥٢٨، ٥٢٦٩ ، ٦٦٦٤، ومسلم في الصحيح، رقم ٢٠١ ، ٢٠٢، وأحمد في المسند ٢٥٥/٢ ، ٣٩٣ ، ٤٢٥ ، ٤٧٤ ، ٤٨١ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) بياضٌ في الأصلين، والإضافة للتوضيح.

(٤) هذا اللفظ من حديث عُقبة بن عامر رضي الله عنه: أخرجه أحمد في المسند ١٤٨/٤ ، ١٥٨، والترمذي في الجامع، رقم ٢٤٠٨ وقال حديثٌ حسن صحيح.

(٥) قطعة من حديث معاذ رضي الله عنه: أخرجه الترمذي في الجامع، رقم ٢٦١٩ وقال حديثٌ حسن صحيح، وابن ماجه في السنن، رقم ٣٩٧٣، وأخرجه أحمد في المسند ٢٣١/٥.

فقولوا: آمين))[1] ولـم يُرد بذلك ما في النفس.

إلى أن قال: وقسَّم أهلُ اللسان الكلام إلى: اسم وفعل وحرف.

وأيضاً: فإنَّ الكلام مشتقٌّ من الكلْم[2] لتأثيره في نفس السامع. والمؤثر في نفس السامع إنما هو العبارات لا المعاني النفسية. نعم المعاني النفسية مؤثِّرة للفائدة بالقوة، والعبارة مؤثرة بالفعل. فكانت أولى بأن تكون حقيقة وما يؤثر بالقوة مجازاً[3].

وقولهم: استُعمل لغة وعُرفا فيهما. قلنا: نعم. لكن بالاشتراك، أو بالحقيقة فيما ذكرناه والمجاز فيما ذكرتموه؟

الأول: ممنوع؛ لأنه إذا دار الأمرُ بين الاشتراك والمجاز فالمجازُ أولى.

قلتُ: والدليلُ على أنَّ المجاز أولى، أنَّ اللفظ إذا كان دائراً بين الحقيقة والمجاز فعند الإطلاق لا ينصرف إلى أحدهما،بل يتوقَّف

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح، رقم ٧٨٢ ، ٤٤٧٥، ومسلم في الصحيح، رقم ٢٤١٥، وأبو داود في السنن، رقم ٩٣٤. من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) الكَلْم: الجَرْح ثم أطلق على الجُرح. ينظر: الفيومي، المصباح المنير ٤٣٩.

(٣) هذا وما بعده؛ بناء على ما اختاره الطُّوفي ومَن وافقه من أهل النحو والكلام: أن الكلام حقيقةٌ في العبارة مجاز في مدلولها. وقد تقدم التنبيه على بطلان ذلك. ينظر: الطوفي، شرح مختصر الروضة ١٤/٢.

على القرينة. والقرينةُ قد تخفى فلا يحصُل الفهم. فإن قيل: ما ذكرتم يُعارضه شيءٌ آخر، وهو أنَّ اللفظ إذا كان دائراً بين الحقيقة والمجاز، فإذا خرجت الحقيقةُ بقرينة ربما يُشكل وجهُ المجاز، وربما يتعذَّر طريقُ المجاز فلا يحصل الفهم، إذا كان مشتركاً بين معنيين فأُخرج أحدُهما بقرينة ينصرف اللفظُ إلى الآخر بحكم الاصطلاح والوضع فيحصل.

قلنا: ما ذكرتُم يُعارضه شيءٌ آخر، وهو أنَّ اللفظ إذا كان بين الحقيقة والمجاز يدورُ بين معنيين فقط، وإذا كان مُشتركاً بين معنيين يدورُ بين أربعة معان؛ لأن المُشترك يحتمل المجاز بالإضافة إلى كل معنى.

فإنْ قيل: في المجاز تركُ الاصطلاح والمواضعة، وليس في ذلك على ما ذكرنا.

قلنا: في المجاز فوائدُ من وجوهٍ ثلاثة. أحدها: المبالغة في الإبانة عن المعنى. فإنَّ قولنا: هذا أسد. أبلغ في الإبانة عن معنى الشجاعة من قولنا: هذا شجاع. وقولنا: هذا حمار. أبلغ في الإبانة عن معنى البلادة من قولنا: هذا بليد.

والثاني: الكناية بالحسن عن القبيح. فإن قولنا: مسّها. أحسن من [٣/أ]

قولنا: أدخل ذكره في فرجها. ولهذا / قال ابنُ عباس رضي الله عنه: إنَّ الله حييٌ كريم، يكني بالحسن عن القبيح. كنى باللمس عن الوقاع[1].

والثالث: إظهارُ العِلم بخواص الأشياء. فإنه إذا قال: رأيت أحنف. وأراد به: الحليم. أو رأيت إياساً. وأراد به: الذكي. أو رأيت قسّاً. وأراد به: الفصيح. فقد أظهر من نفسه العلم بخواص هؤلاء.

والعلم صفةُ شرف، فكان في طبع الإنسان دعاء إلى إظهارها. انتهى[2].

وقولهم: الأصلُ في الإطلاق الحقيقة. قلنا: والأصل عدمُ الاشتراك. وأيضاً: فلفظ الكلام أكثر ما استعمل في العبارات. وكثرة موارد الاستعمال تدل على الحقيقة.

وأما قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ [سورة المجادلة:٨] فمعناه: يقول بعضُهم لبعض. أو هو مجاز؛ لأنه إنما دل على المعنى النفسي بالقرينة ولو أطلق لما فهم منه إلّا العبارة. وكذلك كل ما جاء من هذا الباب إنما يُفيد نفي القرينة. وهذا شأنُ المجاز. ومنه

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في التفسير ١/١٨٥، وعبد بن حُميد كما في الدر المنثور ٣/٣٠.

(٢) ينظر: الفتوحي، شرح الكوكب المنير ٢/١٥ ، ٣٣.

قول عمر رضي الله عنه: (فزوَّرت في نفسي كلاماً) إنما أفاد ذلك بقرينة قوله: في نفسي. وسياق القصة.

وأما قوله تعالى: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ﴾[سورة الملك:١٣] فلا حجة فيه لهم؛ لأن الإسرار نقيض الجهر، وكلاهما: عبارة أرفع صوت من الآخر.

وأما الشعر الذي يُنسب إلى الأخطل. فليس هو في نُسخ ديوانه[١] ، وإنما هو لابن ضمضام[٢].

ولفظُه:

إنَّ البيان من الفؤاد وإنما جُعل اللسان على الكلام دليلاً[٣]

وإنْ صح أنَّ الأخطل قاله كما قالوه. فالأخطلُ نصراني إسلامي. وهو ومن تقدَّمه من شُعراء الجاهلية إنما يُحتج بقولهم في

(١) قال ابن قُدامة في البرهان (مجلة البحوث الإسلامية ص ٢٦١): وقد سمعت شيخنا أبا محمد ابن الخشاب - رحمة الله عليه - وكان إمام أهل عصره في العربية - يقول: قد فتشتُ دواوين الأخطل العتيقة، فلم أجد هذا البيت فيها.

(٢) هكذا في الأصل و (س) والتحبير للمرداوي ١٢٧٧/٣ ولعل **الصواب**: ابن ضمضم، وهو سعيد بن ضمضم الكِلابي، أبو **عثمان**، شاعر مُقِل. ينظر: ابن النديم، الفهرست ٥٢.

(٣) ينظر: المرداوي، التحبير ١٢٧٦/٣.

موضوعات لغة العرب، ومعرفة الكلام. فأما ما يشترك فيه العربُ وسائر الناس فلا يُحتج فيه ببيت نادر مع ظُهور فساده.

وبتقدير صحته على ما قالوا: لم يجز أن يُوصف الله تعالى بالكلام أصلاً. فإنَّه تعالى ليس بذي فؤاد. تعالى الله عن ذلك علواً كثيراً[(١)].

وأيضاً: فأهلُ العُرف متفقون على أنَّ من لم ينطق ليس بمتكلم، ولو حلف لا يتكلَّم فلم ينطق لم يحنث إجماعاً.

والفرقةُ الناجية أهل السنة والجماعة: يُؤمنون بما أخبر اللهُ به تعالى في كتابه أو ثبت عن رسوله صلى الله عليه وسلم في خِطابه، من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل ولا تأويل.

وعلى هذا درج السلفُ وأئمة الخلف. كلُّهم متفقون على الإقرار والإمرار. وقد أُمرنا باقتفاء آثارهم والاهتداء بمنارهم، وحُذِّرنا المُحدثات وأُخبرنا أنها من الضلالات.

فما جاء في الصفات من الآيات والأحاديث الثابتات: آمنا بها، ولا نردّه ولا نجحده، ولا نتأوَّله بتأويل يخالف ظاهره، ولا نشبهه بصفات المخلوقين ولا سمات المُحدثين.

---

(١) ينظر: المرداوي، التحبير ٣/١٢٩١.

ونعلم أنَّ الله سبحانه لا شبيه له ولا نظير ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى:١١] وكلّ ما تخيَّل في الذهن أو خطر في البال، فإنَّ الله تعالى بخلافه وله العظمةُ والكبرياء والجلال.

وسيوافقُ قولي هذا من الناس ثلاثة.

رجلاً مُنقاداً، سمع الناس يقولون فقال كما قالوا: فهو لا يرعوي ولا يرجع؛ لأنه لم يعتقد الأمر بنظر فيرجع عنه بنظر.

ورجلاً[1] تطمح به عزةُ الرئاسة وطاعةُ الإخوان وحب الشهرة: فليس يرد عزَّته ولا يثني عنانه إلّا الذي خلقه إنْ شاء؛ لأن في رجوعه إقرارَه بالغلط واعترافَه بالجهل. وتأبَى عليه الأَنَفة. وفي ذلك أيضاً: تشتتُ جمع وانقطاع نظام، واختلافُ إخوان عقدتهم له النِّحلة.

والنفوس لا تطيب بذلك إلّا من عصمه الله ونجَّاه.

ورجلاً مُسترشداً يُريد الله بعلمه، لا تأخذه في الله لومةُ لائم ولا يدخله مِن مُفارقٍ وحشةٌ ولا تلفته عن الحق أنفة، فإلى هذا بالقول قصدنا، وإيَّاه أردنا.

---

(١) الأصل: رجل. والمثبت هو الصواب.

نسأل الله العظيم أن يُلهمنا رُشدنا، وأن يقينا شُرورَ أنفسنا، وأن يسلك بنا وبإخواننا المؤمنين سبيلَ الهداية، وأن يجنِّبنا وإياهم مسلك الغِواية. إنَّه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير.

والحمدُ لله رب العالمين، وصلَّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين. آمين.